أوكرانيا
وإمبريالية القرن الحادي والعشرين

موقف اشتراكي ثوري

حركة الاشتراكيين الثوريين

أوكرانيا وإمبريالية القرن الحادي والعشرين
خلاصة التحليل والمواقف الاشتراكية الثورية

المحتويات:

▪ مقدمة: الصراع الكبير على السلطة - الإمبريالية والحرب في أوكرانيا

الحرب في أوكرانيا معركة متواصلة بين خصوم إمبرياليين يقودها التنافس الرأسمالي

إن وسائل الإعلام السائدة تقدم الحرب في أوكرانيا على أنها صراع بين "الديمقراطية" ممثلةً بأوكرانيا وداعميها الغربيين، "والسلطوية" بشكل نظام فلاديمير بوتين في روسيا. إلا أن هذا تبسيطي للغاية.

مثلاً، لعل أشد داعمي أوكرانيا حماساً هي الحكومة اليمينية المتطرفة في بولندا والتي يتحراها الاتحاد الأوروبي بسبب ميولها السلطوية. وبوتين تدعمه الهند التي رغم حكومتها الوحشية الفاشية تبقى ديمقراطية متعددة الأحزاب.

إن الطريقة السائدة في تأطير الصراع مصممة لتعادل التكتل الغربي للدول الليبيرالية الرأسمالية بما يسمى "المجتمع الدولي." إنها أيضاً طريقة لنفي الشرعية لمصالح خصوم هذا التكتل لأنهم "سلطويون،" وهذا يتناسى حين يأتي الأمر على سبيل المثال إلى الأوتوقراطية السعودية القاتلة.

إذن، هل هناك إطارات نظرية أفضل لفهم النزاع؟ أحد المنابع توفره فكرة الإمبريالية. فكما هو ظاهر، إن بوتين يبدو ناوياً أن يعيد الإمبراطورية التساريّة القديمة التي دمرتها الثورة الروسية في تشرين الأول 1917.

لكن من المهم أن نكون واضحين بما نعنيه بالإمبريالية. يمكننا فهمها على أنها ظاهرة تمتد عبر حقب تاريخية، على أنها الطريقة التي تسيطر وتغزو وتستغل فيها الدول القوية المجتمعات المجاورة لها.

لقد كانت هذه خاصية للمجتمعات الطبقية لآلاف السنوات، عائدة إلى إمبراطوريات فارس والصين والروم القديمة. تتصرف روسيا الآن بوضوح كقوة إمبريالية بهذا المعنى وهي تسعى إلى تحطيم الدولة الأوكرانية حتى تخضع وأن تشق أرضها الخاصة، لكن أيكفي أن يفهم الصراع بهذه الصياغة؟

يعتقد الماركسي اللبناني جيلبيرت الأشقر بذلك. لقد طرح أمامنا ما يسميه "موقفاً معادياً للإمبريالية راديكالياً" يركز حصراً على الصراع بين روسيا وأوكرانيا.

"سيشجع استيلاء روسي كامل على أوكرانيا الولايات المتحدة أن تعود إلى طريق غزو العالم بالقوة في سياق تصعيد التقسيم الاستعماري الجديد للعالم وزيادة العداءات العالمية سوءاً، بينما سيعزز فشل روسي - مضافاً إلى فشلي أمريكا في العراق وأفغانستان - ما يدعى في واشنطن ؛((متلازمة الفيتنام.))"

"والأكثر من ذلك أنه جلي بالنسبة إلي أن انتصاراً روسياً سيقوي بشكل ملحوظ السعي نحو الحروب وسيدفع باتجاه إنفاق عسكري متزايد في دول الناتو، وهذا بالفعل قد انطلق انطلاقة كبيرة، بينما ستوفر هزيمة روسية ظروفاً أفضل بكثير لمعركتنا بنزع السلاح العام وحل الناتو."

سيكون بالفعل أمراً جيداً لو استطاع الشعب الأوكراني طرد الغزاة الروس، لكن هنالك مشكلة صغيرة بحجة الأشقر أن هذا سيضعف أمريكا والناتو. إنهم يدعمون الأوكرانيين بحماس ويغمرونهم بالأسلحة ويرفعون ميزانيتهم العسكرية الخاصة بهم هم.
إن هزمت روسيا بفضل هذه الجهود وشجاعة المقاتلين الأوكران فهل سترد أمريكا وحلفاؤها بحل الناتو؟ طبعاً لن يفعلوا. بل سيحتفلون بهذه النتيجة على أنها انتصارهم وسيعززون الناتو أكثر. ستشعر أمريكا أن الحياة قد دبت بها من جديد في منافستها التاريخية عالمياً مع من يتحدى هيمنتها فعلاً، أي الصين.

ما ينقص منهج الأشقر ومنهج اليساريين الآخرين الذين يتلافون مسألة الناتو من أمثال باول ماسون هو الفهم التاريخي الخاص للإمبرالية الذي تقدمه الماركسية. يمكننا أن نرى هذه النظرية تبرز في الأصل في كتاب كارل ماركس "رأس المال" في ستينيات القرن التاسع عشر. لكنه تطور بمنهجية أكبر في أوائل القرن العشرين قريب بداية الحرب العالمية الأولى.

واجه الماركسيون واقعاً مشابهاً لواقعنا. كتب الاقتصادي الليبرالي الراديكالي جون أتكينسون هوبسون: "إن أصالة الإمبريالية الحديثة ... تكمن أساساً بتبنيها من قبل دول كثيرة. فكرة أن هناك عدداً من الإمبراطوريات المتنافسة حديثة في جوهرها."

▪ مقدمة: الصراع الكبير على السلطة - الإمبريالية والحرب في أوكرانيا

لقد عُبر عن هذه المنافسة الجيوسياسية عن طريق الصراع على المناطق - المستعمرات وأنصاف المستعمرات التي كانت الدول الكبرى تسعى للسيطرة عليها - وعن طريق سباق تسلح متسارع. لقد طورت النظرية الماركسية للإمبرالية لتشرح هذه الخصومات التي حركت الحربين العالميتين بين 1914-1918 و1939-1945 مغرقة العالم بالدماء.

لقد كانت نظرية الإمبريالية الرأسمالية. لقد قال الثوري الروسي فلاديمير لينين أن الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية، وكتبت رفيقته البولندية الألمانية روزا لكسمبورغ: "إن جوهر الإمبريالية يتكون بالضبط من توسع رأس المال من الدول الرأسمالية القديمة إلى مناطق جديدة والصراع التنافسي الاقتصادي والسياسي بينها على هذه المناطق الجديدة."

ولكي أصيغ الأمر بطريقة أخرى أقول أن الإمبريالية الرأسمالية تمثل تقاطعاً للمنافستين الاقتصادية والجيوسياسية. إن المنافسة الاقتصادية هي القوة المحركة للرأسمالية - تتصارع شركات متنافسة ضد بعضها وتستثمر في إنتاج مطور وموسع لتحظى بحصة أكبر من الأسواق.

في أواخر القرن التاسع عشر، انضوى الصراع الجيوسياسي بين الدول تحت المنطق الرأسمالي للتراكم التنافسي.

عكس هذا تغييرات في كل من الحرب والرأسمالية. أصبحت الحرب صناعية حيث شرعت القوة العسكرية تعتمد على الإنتاج الكمي لتسليح ودعم ونقل الجيوش الضخمة. لهذا اضطرت الدول أن تدعم الرأسمالية الصناعية.

في هذه الأثناء تضخمت الشركات الرأسمالية وبدأت تعمل عالمياً. لقد اعتمدوا على دعم الدولة لهم ضد منافسيهم, وخلال الانحسار الذي حصل في أواخر القرن التاسع عشر، عوض الاستيلاء على مستعمرات عبر المحيطات عن الربحية المتناقصة.

إذن الامبريالية الرأسمالية ليست فقط دولاً أكبر تتضطهد دولاً أصغر وتغزوها - رغم أنه هناك كثير من هذا يحصل. إنها نظام عالمي من التنافس الرأسمالي بين الدول. وكما قبيل الحرب العالمية الأولى، فإن الامبريالية اليوم تعني التنافس الجيوسياسي على خلفية الالتحام الاقتصادي العالمي.

إن قوة المتخاصمين تعتمد على موقعهم في الاقتصاد العالمي الرأسمالي. تسيطر أمريكا على التمويل والتقنية, بينما تمتلك الصين آلة تصنيع ضخمة، وتعتمد روسيا على صادرات الطاقة. يمكن للمرء اليوم أن يعرف ربما ست قوىً امبريالية رائدة - الولايات المتحدة والصين وروسيا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا.

إن أهم خصومة هي تلك بين الولايات المتحدة والصين التي يسعى قادتها إلى إزاحة هيمنة واشنطن مبدئياً في منطقة المحيط الهادئ الهندي، لكن الإمبريالية الروسية بمناورتها لتبني قوتها من جديد تخلق صراعاً ثلاثي الأطراف.

إن القوى الغربية الأوروبية الكبرى تسحب في اتجاهات مختلفة. إنها تعتمد على الطاقة الروسية ويجذبها السوق الصيني الضخم - لكنها حالياً تصطف مع الولايات المتحدة. إن هذا الفهم للإمبريالية الرأسمالية بصفتها تنضوي على نظام من التنافس بين الدول غائب تماماً من تحليل الأشقر.

إنه ينفي أن حرب أوكرانيا تتضمن صراعاً بين القوى الإمبريالية. "لو دعيت كل حرب مدعوم طرفاها من قبل منافس إمبريالي حرباً بين دول إمبريالية، لكانت كل حروب زماننا حروباً بين دول إمبريالية، لأنه وكقاعدة عامة يكفي لأحد الخصوم الإمبرياليين دعم طرف واحد ليدعم الآخر الطرف المعاكس.

"إن حرباً بين إمبرياليات ليست هذا، بل هي حربٌ مباشرة وليست حرباً بوسيط بين قوتين تسعى كل منهما أن تجتاح المجال المناطقي والاستعماري الجديد للأخرى."
إن هذا ضيق جداً. لقد شنت الولايات المتحدة حرباً بالوساطة ضد الاتحاد السوفييتي بعد أن قرر هذا الأخير أن يستولي على أفغانستان في نهاية عام 1979.

▪ مقدمة: الصراع الكبير على السلطة – الإمبريالية والحرب في أوكرانيا

لقد سلحت هي وحلفاؤها كبريطانيا والسعودية والباكستان مقاتلي المجاهدين الذين قاوموا الاتحاد السوفييتي ودربتهم. لقد ساهم النزاع باستنزاف موارد الاتحاد السوفييتي ومعنوياته في العقد الأخير من الحرب الباردة. كان للمجاهدين بالطبع أجنداتهم السياسية الخاصة وأصبح هذا وا ضحاً بعد أن انسحب القوات السوفييتية في عام 1989 منتهياً بدعم طالبان للقاعدة ومقاومتها للاحتلال الأمريكي عقب هجمات الحادي عشر من سبتمبر على نيويورك وواشنطن.

إلا أن لعبت الولايات المتحدة دوراً حاسماً في تشكيل حلقة أخيرة مهمة في الحرب الباردة. بالطبع توجد فروق هائلة بين أوكرانيا اليوم وأفغانستان في ثمانينيات القرن الماضي.

لكن هناك تشابه مهم، وهو في أن القوى الإمبريالية الغربية تتخذ من الصراع القومي الأوكراني ضد الإمبريالية الروسية أداة لمكاسبها الخاصة هي.

إن الصراع ما بين الإمبرياليات وحروب الدفاع الوطني تتداخل فيما بينها عادة. إن الحرب العالمية الأولى بدأت حين هاجمت الإمبراطورية النمساوية الهنغارية صربيا التي لامتها لاغتيال ولي عهدها فرانو فرديناند. دعمت روسيا حينها صربيا ما أدى إلى عملية متصاعدة من التحريك العسكري التي انتهت بحرب عامة فظيعة.

قال الماركسي الألماني كارل كاوتسكي أن الدور الذي لعبه الصراع الصربي لأجل تقرير المصير القومي عني أن الصراع لم يكن مجرد حرب إمبريالية، فأجاب لينين: "بالنسبة إلى صربيا وأعني بالنسبة إلى ربما 1 بالمئة أو ما يقارب ذلك من المشاركين في الحرب الحالية فإن الحرب ((استمرار لسياسات)) حركة التحرير البرجوازية."

"أما بالنسبة إلى التسعة وتسعين بالمئة الأخرى فإن الحرب استمرار لسياسات الإمبريالية." بالطبع إن الميزان مختلف في الحالة الراهنة لأن القتال المباشر يتضمن فقط أوكرانيا وروسيا.

ومع ذلك، إن جهود قوى الناتو لتبقى خارج القتال – وفوق كل شيء لتتجنب المواجهة النووية مع روسيا – لا تغير حقيقة أنها تفعل كل شيء سوى ذلك في سبيل هزيمة روسيا. هذا أيضاً ((استمرار لسياسات الإمبريالية)).

إن النظرية الماركسية في الإمبريالية مهمة سياسياً، فدونها يواجهنا ببساطة صراع بين دول متنافسة، لكن في اللحظة التي نرى فيها دور الإمبريالية، نستطيع أن نتعرف التضادات الطبقية العاملة. يمكننا رؤية خيط المصالح الطبقية الذي يربط ليس فقط المجندين الروسيين الذين يموتون في حرب بوتين وعوائلهم التي تصفع اقتصادياً بتأثيرات العقوبات الغربية.

يرتبط هذا الخيط أيضاً بالناس العاملين في كل أنحاء العالم، الذين تضرروا بسبب الحرب من تضخم الغذاء والطاقة والمهددين بالدمار النووي. إنه يوحدهم كلهم ضد الطبقات الحاكمة المتنافسة المشغولة بتغذية هذه الحرب الفظيعة.

أوكرانيا وإمبريالية القرن الحادي والعشرين

تؤكد لنا الحرب الروسية الحالية على أوكرانيا ليس فقط أننا لا نزال نعيش في عالم قائم على التنافس الإمبريالي بين الدول الكبرى على المصالح الاقتصادية والنفوذ السياسي والمواقع الجيوستراتيجية، بل أن المرحلة الحالية من ذلك التنافس تهدد باندلاع حرب عالمية ثالثة، وهو تهديد لم نر مثله منذ ستينيات القرن الماضي.

أين ذهبت إذًا كل تلك النظريات حول أن العولمة انتصار الرأسمالية الغربية وسيادة نفوذها وهيمنتها حول العالم قد دشن حقبة جديدة لم تعد فيها إمكانية للحروب بين الدول الكبرى؟ ألم يقل نفس هؤلاء المنظرين (فرانسيس فوكوياما وتوماس فريدمان على سبيل المثال) في بدايات هذا القرن أننا نعيش في مرحلة جديدة من الرأسمالية تجاوزنا فيها إمكانية الأزمات الرأسمالية العالمية؟ ثم جاء الركود الكبير في 2008 واكتشفنا جميعًا أن الرأسمالية رغم التغيرات والتطورات التكنولوجية لا تزال مصدرًا دائمًا للأزمات الطاحنة؟ وها هي الحرب الروسية الأوكرانية والنزاع بين الإمبريالية الأمريكية والروسية والعودة ليس فقط للحرب الباردة بل لإمكانية حرب شديدة السخونة.

ألم يقل نفس هؤلاء أيضًا أن انتشار الليبرالية الاقتصادية (يقصدون سياسات الليبرالية الجديدة) سيؤدي بالضرورة وبالتوازي إلى انتشار الديمقراطية في العالم؟ انظر حولك عزيزي القارئ!

إذا كان التغير المناخي يشير إلى أن استمرار الرأسمالية الصناعية سيؤدي إلى غرق ودمار في مختلف أنحاء الأرض في المستقبل المنظور، فإن الحرب الروسية على أوكرانيا تشير ليس فقط إلى أن الرأسمالية والحروب ظاهرتان متلازمتان، بل أن خطر فناء البشرية في حرب نووية ربما يجعل موضوع التغير المناخي مسألة نظرية لن تأخذ فرصتها على أرض الواقع.

لنعود إذًا إلى أرض الواقع والى الحرب الحالية.

ظلت أوكرانيا إحدى مناطق النزاع بين القوى الغربية وبين روسيا، سواء في المرحلة القيصرية أو السوفييتية أو مرحلة روسيا الفيدرالية الحالية. وقد اختلفت بالطبع التبريرات الأيديولوجية والحجج الدعائية لأطراف النزاع، ولكن ظل النزاع بطبيعته الرأسمالية التوسعية الخلفية الدائمة للتاريخ الأوكراني الحديث.

توسع الناتو وأزمة الإمبريالية الأمريكية

يتحدث الكثيرون عن حلف شمال الأطلسي وكأنه مجرد تحالف دفاعي بين الدول الغربية، في حين أن تاريخ وتطور هذا الحلف يؤكد حقيقة أنه يمثل بشكل مباشر المصالح التوسعية للإمبريالية الأمريكية. فحلف الناتو قد تشكل بمبادرة من الولايات المتحدة الأمريكية في 4 أبريل 1949 وقد ضم في بدايته 12 دولة وهي الولايات المتحدة ومعها فرنسا وبريطانيا وكندا وبلجيكا وهولندا ولوكسمبورج وإيطاليا والبرتغال والنرويج والدنمارك وأيسلندا. ورغم أن الهدف المعلن للتحالف كان الدفاع المشترك ضد أي غزو أو هجوم سوفييتي محتمل، فقد توسع الحلف بعد انهيار الاتحاد السوفييتي ليضم 30 دولة منها جمهورية المجر والتشيك وبولندا (1999)، ثم بلغاريا واستونيا ولاتفيا وليتوانيا ورومانيا وسلوفاكيا وسلوفينيا (2004)، ليتم عمليًا تطويق عسكري أمريكي أوروبي لروسيا الفيدرالية.

وعلى الرغم من أن الناتو شكليًا تحالفٌ متساوٍ ما بين الدول الأعضاء، فإن التفوق العسكري المطلق للولايات المتحدة يعني أن الحلف مجرد امتداد للقوة العسكرية الأمريكية. لابد أن نتذكر أن الإنفاق العسكري الأمريكي يقارب 800 مليار دولار سنويًا (بالمقارنة بـ252 مليار في الصين و62 مليار في روسيا) والجيش الأمريكي لديه أكثر من 750 قاعدة عسكرية عالميًا. وفي حين يُختار السكرتير العام للناتو من دولة مختلفة من دول الحلف في كل دورة، فقد ظلت القيادة العسكرية العليا للناتو في يد جنرالات من الولايات المتحدة منذ 1949 وحتى اليوم.

ولكن ورغم التفوق العسكري الأمريكي المستمر، تشير التطورات على مستوى الاقتصاد العالمي إلى أن هيمنة الإمبريالية الأمريكية عالميًا مهددة بالتراجع على المدى الطويل. ولابد من ملاحظة أنه عندما تشكل حلف الناتو كان الاقتصاد الأمريكي يمثل ما يقترب من 50% من إجمالي الناتج العالمي، وقد انخفضت تلك النسبة إلى حوالي 19% اليوم، في حين زادت نسبة الاقتصاد الصيني من إجمالي الناتج العالمي من أقل من 2% عام 1990 إلى حوالي 17% اليوم.

هذا هو التحدي الرئيسي الذي يواجه هيمنة الإمبريالية الأمريكية في المستقبل المنظور. وهذا أيضًا هو ما يدفع التوسع الشرقي للناتو منذ نهاية الحرب الباردة. إن تطويق روسيا الفيدرالية بكل هذا الإصرار والاندفاع لا يمكن فهمه إلا في سياق مكاسب جيوسياسية على حساب روسيا ولكن أيضًا استعدادًا لمواجهة التحدي الصيني.
ولا يمكن أيضًا من الجانب الآخر فهم الغزو الروسي لأوكرانيا بكل ما يحمله من مخاطر وجودية على الاقتصاد الروسي وعلى مستقبل نظام بوتين، إلا كرهان على التحالف الروسي مع الصين كقوة عظمى صاعدة.

بوتين وعودة الإمبريالية الروسية

يبدو أن بعض اليساريين (منهم قطاع من اليسار المصري) لا يزال يتأثر بالدعاية الروسية حول الحرب ضد الفاشية والنازية والإمبريالية الأمريكية. وأيضًا نرى لدى هؤلاء نوع من التجمد في عصر الحرب الباردة واعتبار بوتين زعيمًا قويًا يريد إستعادة أمجاد الاتحاد السوفييتي، وأن ذلك يخدم بشكل ما قوى اليسار عالميًا! هذا النوع من الدعاية هو امتداد للدعاية الستالينية خلال الحرب الباردة، وهي في زمن بوتين كما كانت في زمن ستالين، مجرد غطاء أيديولوجي للتوسع الإمبريالي الروسي. وقد استخدمت نفس الدعاية في مواجهة انتفاضة 1953 في ألمانيا الشرقية والثورة المجرية في 1956 والتبرير لغزو تشيكوسلوفاكيا في 1968. كما استخدمت نفس الأفكار (محاربة الفاشية والنازية) لتعبئة القومية الروسية ضد كافة حركات الاستقلال الوطني في جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق منذ الثمانينيات والتسعينيات.

ولكن كيف صعد بوتين ليصبح بمثابة قيصر جديد لروسيا؟ وهو بالمناسبة يحكم روسيا لفترة لم يتجاوزها في العصر الحديث سوى جوزيف ستالين نفسه.

اعتمد صعود بوتين في العقدين الماضيين على عنصرين أساسيين. العنصر الأول هو القضاء على أوليغارشية (طبقة المليارديرات المهيمنين على الاقتصاد) تسعينيات القرن الماضي والتي صعدت في فترة يلتسين من خلال الخصخصة الفاسدة لشركات القطاع العام السوفييتي. ولكن بوتين استبدل تلك الأوليغارشية بطاقم جديد من المليارديرات الموالين بالكامل للدولة الروسية والمنفذين للإستراتيجيات الاقتصادية المركزية لفريق بوتين الاقتصادي. إذًا لم يقض بوتين على الفساد بل هذبه ووجهه نحو خطة اقتصادية متماسكة بعد عقد من الفوضى والانهيار الاقتصادي. والعنصر الثاني كان ولا يزال التعبئة الشوفينية والقومية الروسية ومشروع استعادة أمجاد الإمبراطورية الروسية.

وإلى جانب الأفكار الشوفينية حول روسيا العظمى، لابد من ملاحظة أن الدعاية والتعبئة الأيديولوجية في زمن بوتين لها طابع شديد الرجعية، فإلى جانب النعرة القومية، هناك أيضًا دفاع هستيري عن الأخلاق والأسرة والدين في مواجهة "التحلل" و"الانحطاط" الأخلاقي الغربي.

وقد كان من غرائب تحولات التسعينيات بعد انهيار الاتحاد السوفييتي استعادة الكنيسة الأؤرثودوكسية ليس فقط لدورها في دعم ومباركة سياسات الدولة الروسية، ولكن أيضًا استعادتها لممتلكاتها وقوتها الاقتصادية (800 دير ذات أملاك عقارية وزراعية، وستة محطات راديو وقناتين تلفزيونيين، إلى جانب دور مركزي في كل المناسبات الرسمية).

وقد زاد بوتين من مركزية ودور الكنيسة والتي يعتبرها جزءًا أساسيًا من قوة الدولة الروسية، وقد أعلن بابا الكنيسة الروسية ألكسي الثاني أن "الدين الأرثوذكسي هو الأساس الوحيد لاستعادة الوطن الروسي لأمجاد الماضي". وقد أعيد كتابة النشيد الوطني الروسي في عام 2000 ليعلن روسيا "وطن يحميه الله".

ومن جانب آخر نفهمه في مصر جيدًا، أعاد بوتين ملكية وسيطرة الدولة، خاصة من خلال الأجهزة الأمنية، لغالبية الإنتاج السينمائي والتلفزيوني والثقافي. وفي 2005 على سبيل المثال أنتج نيكيتا ميخائيلوف فيلمًا يمجد بوتين ويصوره كقديس جاء لينقذ الوطن الروسي، وذلك بمناسبة عيد ميلاده الخامس والخمسين.

ويستثمر بوتين أيضًا الدعاية حول اضطهاد الأقليات الروسية خارج روسيا الفيدرالية، وهم في كثير من جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق بالفعل يعانون من الاضطهاد. وقد قدر مركز بيو البحثي أن عدد ذوي الإثنية الروسية في الجمهوريات السوفييتية السابقة خارج روسيا يتجاوز 25 مليون روسي. ولكن ما لا تذكره دعاية بوتين هو أن ذلك الوضع نتج عن تاريخ طويل من اضطهاد واستغلال الدولة الروسية لتلك الجمهوريات والآثار طويلة المدى لسياسة ستالين في التهجير والتوطين من ثلاثينيات إلى خمسينيات القرن الماضي.

يأتي قرار بوتين بغزو أوكرانيا بعد عقدين من "العمليات العسكرية" للجيش الروسي في جورجيا والشيشان والقرم وليبيا وسوريا وإفريقيا الوسطى، وكل ذلك ضمن محاولة إستعادة دور روسيا كقوة عظمى بعد الانهيار المهين للاتحاد السوفييتي في تسعينيات القرن الماضي. وبالطبع يستخدم بوتين التعبئة القومية كوسيلة للبقاء في الحكم، فعلى سبيل المثال زادت شعبية بوتين في روسيا من 61% في ديسمبر 2013 إلى 83% مع غزو شبه جزيرة القرم في أوكرانيا في ربيع 2014.

أما توقيت الغزو فيبدو أنه مرتبط بما شعره بوتين من ضعف غربي مؤقت بسبب الانقسامات السياسية الحادة في أمريكا وضعف قيادة بايدن، وضعف بريطانيا في ظل خروجها من الاتحاد الأوروبي (البريكسيت) وأزمات بوريس جونسون، والانشغال الفرنسي بالانتخابات، وغياب أنجيلا ميركل عن الساحة الألمانية.

أوكرانيا وتاريخ من النزاع الاستعماري

عندما بدأت الحرب العالمية الأولى كانت أوكرانيا تحت سيطرة روسيا القيصرية من جهة والإمبراطورية النمساوية المجرية من الجهة الأخرى. ومع اندلاع الثورة البلشفية في 1917، شهدت أوكرانيا صراعًا دمويًا بين الجيش الأحمر والشيوعيين في الشرق (خاصة في مناطق تمركز عمال المناجم في الدونباس) وبين الجيش الأبيض والقوميين الأوكرانيين والبولنديين في الغرب.

ومع انتصار الجيش الأحمر في تحرير القطاع الشرقي من أوكرانيا، جاء ربما أهم اختبار لسياسة البلاشفة حول حق تقرير المصير. كان اليمين الأوكراني يرفع راية الاستقلال الوطني وبالتالي اعتبرت مسألة استقلال أوكرانيا بمثابة انتصار لليمين. ومن جهة أخرى كان استقلال أوكرانيا يعني إمكانية فقدان القمح الأوكراني، وهو ما كان يشكل تهديدًا وجوديًا على الاتحاد السوفييتي الوليد. ولكن لينين أصر على مركزية سياسة حق تقرير المصير ومحاربة كافة أشكال الشوفينية والتكبر الروسيين ونال الشعب الأوكراني لأول مرة في تاريخه الاستقلال الوطني على غالبية أراضيه (ظل القطاع الغربي مندمجًا في بولندا).

وجاء صعود ستالين إلى السلطة وبداية ثورته المضادة بمثابة كابوس على الشعب الأوكراني، حيث خضعت أوكرانيا لسياسة التجميع الزراعية التي فرضها ستالين والتي تسببت في مجاعة في بداية الثلاثينيات مات فيها مئات الآلاف من الفلاحين الأوكرانيين. وعلى المستوى السياسي أدت مرحلة التطهير الستالينية إلى إعدام الغالبية العظمى من أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأوكراني وتصفية 170 ألف من أعضاء الحزب.

وجاءت الحرب العالمية الثانية لتضيف المزيد من المآسي للشعب الأوكراني، ففي 1939 تم تقسيم بولندا (طبقًا لاتفاقية هتلر-ستالين) واستولت بالتالي موسكو على الغرب الأوكراني. ولكن ذلك لم يدم طويلًا حيث وقعت أوكرانيا بالكامل تحت الاحتلال النازي في 1941 مع اجتياح هتلر للاتحاد السوفييتي، وقتل النازيون أكثر من 5 ملايين أوكراني، ومع انتصار الجيش الأحمر وقعت أوكرانيا في أيدي ستالين مجددًا.

كانت إحدى النتائج السياسية لفترة الاحتلال النازي لأوكرانيا هو بروز حركة قومية يمينية متطرفة في الغرب تحالفت مع الاحتلال النازي على أمل الحصول على الاستقلال مستقبلًا، واعتبرت تلك الحركة الناطقين بالروسية في أوكرانيا الشرقية نوعًا من الامتداد لما اعتبروه احتلالًا سوفييتيًا يحاول إلغاء القومية واللغة الأوكرانيين. وظل لذلك التراث اليميني المتطرف وجودًا في الغرب الأوكراني. أما في الشرق فظل هناك شعورٌ معادٍ للتطرف القومي الأوكراني والذي اعتبروه سكان المناطق الشرقية أيضًا تهديدًا للغتهم وثقافتهم الروسية.

ولكن المبالغة في هذا التقسيم التبسيطي بين الغرب الأوكراني (كاثوليكي ناطق بالأوكرانية ومعادي للروس) والشرق (أرثودوكسي ناطق بالروسية وموالي لروسيا) يؤدي إلى استنتاجات خاطئة، فقد أصبحت أوكرانيا دولة حديثة واختلط سكانها من الأصول المختلفة في المدن الكبرى وزاد من الوعي الوطني الأوكراني والنزعة الاستقلالية على حساب الانقسامات الثقافية واللغوية التاريخية. وأصبحت الانقسامات مع الوقت ذات طابع سياسي واجتماعي كما تبين مع انهيار الاتحاد السوفييتي في 1991. ففي استفتاء عام في جميع أنحاء أوكرانيا في ذلك العام، صوت 90% من السكان لصالح الاستقلال.

وخلال التسعينيات، ومع فوضى التحول إلى السوق، وكما كان الحال في بقية دول الاتحاد السوفييتي السابق، أدت سياسات الليبرالية الجديدة في أوكرانيا إلى انهيار اقتصادي كامل، ووصلت معدلات البطالة إلى مستويات غير مسبوقة، وانخفض متوسط دخل الفرد من 1570 دولار في 1990 إلى 635 دولار في عام 2000. ومن جانب آخر صعد إلى القمة طبقة من كبار رجال الأعمال ليشكلوا، كما في روسيا، أوليغارشية حاكمة غارقة في الفساد ومحتكرة لمزارع ومناجم وثروات أوكرانيا في الغرب والشرق. وأصبح من مصلحة تلك الطبقة أن تستثمر سياسيًا النعرات القومية والانقسامات الثقافية والدينية والإقليمية القديمة لحرف الغضب الجماهيري عنها من جانب والتعبئة السياسية لخدمة مصالحهم من الجانب الآخر.

كانت النتيجة أنه بحلول بداية القرن الحالي عادت النعرات القومية للصعود من جديد مع اتجاه قومي أوكراني في الغرب وتعبئة يمينية متطرفة ذات تأثير في المناطق الغربية، وتبلور اتجاه راغب في الانضمام للناتو والاتحاد الأوروبي. أما في الشرق، فكان هناك ميل في بعض المناطق، خاصة المتاخمة لروسيا وأيضًا في الجنوب نحو الاحتماء بروسيا وربما الاندماج فيها.

وبالطبع تدخلت الدول الأوروبية والولايات المتحدة من جانب، وروسيا من الجانب الآخر، بالتمويل والمساعدات الاستخبارية والإعلامية للتأثير على توازن القوى في الحكومة والبرلمان الأوكرانيين.

كان الملياردير رينات أخميتوف مثالًا صارخًا للطبقة الحاكمة الجديدة في أوكرانيا. وقد تركزت ثروة أخميتوف في مجالات المناجم وصناعات الحديد في الشرق، في حين تمتد مصالحه لأسواق روسيا وأوروبا الغربية معًا. تقدر ثروته بأكثر من 14 مليار دولار ويتحكم في أكثر من 50% من إنتاج الكهرباء والفحم وله استثمارات كبرى في مجالات البترول والغاز الطبيعي والمشاريع العقارية. وسرعان ما أصبح مثل هؤلاء مسيطرين على البرلمان والحكومة في كييف.

وإلى جانب التنافس بين المليارديرات الجدد والتوترات والخلافات الثقافية والدينية واللغوية بين المقاطعات المختلفة، كان هناك أيضًا إغراء الاندماج في الاتحاد الأوروبي وحلف الناتو في الغرب. ومع محاولات بروكسل وواشنطن لجذب الدولة الأوكرانية نحو الغرب، بدأ بوتين والنظام في موسكو في التحضير طويل المدى لحسم الأمر عسكريًا. وإذا كان من البديهي أن بوتين هو المسئول عن شن الحرب على الشعب الأوكراني فمن البديهي أيضًا أن واشنطن وبروكسل لعبا دورًا في دفع الأزمة نحو الحرب.

ولعل ما حدث في أعقاب الأزمة الاقتصادية العالمية في 2008 يوضح التنافس الإجرامي بين الإمبريالية الغربية والإمبريالية الروسية على مصير أوكرانيا. فقد انهار الاقتصاد الأوكراني في أعقاب الأزمة ، حيث انخفض إجمالي الناتج المحلي بأكثر من 15%، مما أدى إلى ضرورة اللجوء للمساعدات الخارجية. وعلى الفور جاء عرض الاتحاد الأوروبي بخلق منطقة تجارة حرة مع اوكرانيا، ومن جانب آخر عرض صندوق النقد الدولي قرض بقيمة 15 مليار دولار بالشروط التقشفية المعتادة. وقد تدخل بوتين لوقف هذه الاتفاقات من خلال عرض أكثر سخاءً في نوفمبر 2013، وقد وافق يانكوفيتش، رئيس وزراء أوكرانيا في ذلك الوقت، على العرض الروسي في اللحظات الأخيرة. وقد اندلعت على الفور مظاهرات "ملونة" في كييف ضد رفض المساعدات الأوروبية الأمريكية.

لم يكن استخدام سلاح المساعدات الاقتصادية جديدًا، فحتى خلال فترة رئاسة بيل كلينتون في التسعينيات كانت أوكرانيا ثالث أكبر متلقٍ للمساعدات الاقتصادية الأمريكية بعد إسرائيل ومصر.

الحرب والتسونامي الاقتصادي

وإلى جانب التغييرات الجيوسياسية التي ستحدثها الحرب أيًا كانت نتائجها، فإن آثارها الاقتصادية المدمرة قد بدأت بالفعل، ليس فقط على الاقتصاد الروسي والأوكراني، بل على الاقتصاد العالمي وخاصة الدول النامية بما فيها مصر.

آثار العقوبات الاقتصادية الغربية على الاقتصاد الروسي كارثية بالطبع، فقد مُنِعَ البنك المركزي الروسي من الوصول إلى احتياطي العملات الأجنبية المقدر بـ630 مليار دولار، وشهدت الاستثمارات الأجنبية هروبًا غير مسبوقًا من الأسواق الروسية تنفيذًا للعقوبات، ومُنِعَت غالبية البنوك الروسية من التعامل بنظام سويفت والذي يسمح بحركة الأموال بين البنوك على مستوى العالم. وعلى الفور انهار الروبل الروسي بنسبة تقارب 40% وانهارت البورصة الروسية بأكثر من 90% من قيمتها. وقد اضطر البنك المركزي أن يرفع أسعار الفائدة من 9.5% إلى 20% في محاولة لإنقاذ الروبل من الانهيار التام، وفرض على الشركات الأجنبية تحويل غالبية إيراداتها بالعملات الأجنبية إلى الروبل ومنعت البنوك الروسية من تصفية ودائع الأجانب لديها. وقد أعلن بوتين منذ أيام أنه لن يدفع التزاماته للبنوك العالمية إلا بالعملة الروسية، وهو ما يشكل عمليًا إعلان بالإفلاس.

وقد تحدث البعض عن إمكانية أن تؤدي العقوبات على روسيا إلى أن تلجأ اضطراريًا للصين كمنقذ اقتصادي (إن لم يكن أيضًا عسكريًا)، أي محاولات التخلي عن التعامل بالدولار الأمريكي والتحول نحو العملة الصينية. ولكن الصين غير مستعدة الآن لمثل هذه المغامرات، فالدولار الأمريكي لا يزال يشكل 40% من التعاملات المالية العالمية بالمقارنة بـ3% فقط لليوان الصيني.

وحتى قبل الحرب، كان الاقتصاد العالمي يعاني من موجة من التضخم لم يشهد مثلها منذ سبعينيات القرن الماضي، وبالطبع جاءت الحرب لتشعل أسعار السلع بشكل غير مسبوق. وهذا التصعيد للتضخم سيفرض على البنوك المركزية، وعلى رأسها بنك الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي، زيادة سريعة لمعدلات الفائدة، وهذا سيكون له أثر شديد السلبية على اقتصادات الدول النامية فهو يعني هروب الاستثمارات الأجنبية وانهيار العملات المحلية (ومنها بالطبع الجنيه المصري).

ما يزيد من تأثيرات الحرب على الاقتصاد العالمي هو كون روسيا وأوكرانيا مصدرين رئيسيين، ليس فقط للنفط والغاز، ولكن أيضًا للمعادن النفيسة والصناعية والمنتجات الزراعية، وعلى رأسها القمح والذرة والزيوت النباتية.

تشكل صادرات القمح من روسيا وأوكرانيا حوالي ثلث الصادرات العالمية، وهذه كلها متوقفة الآن بسبب الحرب. وقد أدى ذلك إلى ارتفاعات غير مسبوقة في أسعار القمح. هذا مع الأخذ بالاعتبار أن أسعار القمح عالميًا كانت قد ارتفعت بنسب تتراوح بين 10 و30%، وذلك لعدة أسباب، لعل أهمها ضعف المحاصيل خلال العام الماضي في كندا والولايات المتحدة والأرجنتين.

تحتاج مصر، على سبيل المثال، 21 مليون طن من القمح سنويًا ويتم استيراد نصف هذه الكمية من الخارج. وتأتي 86% من هذه الواردات من روسيا وأوكرانيا. وقد افترضت ميزانية العام الحالي أن سعر طن القمح سيكون 255 دولار، في حين وصلت الأسعار في أسواق العقود المؤجلة إلى 400 دولار للطن.

ولابد أيضًا ملاحظة أن 26% من واردات مصر من الذرة تأتي من أوكرانيا، وقد زادت أسعاره من 6 دولار للمكيال، إلى 7,6 دولار منذ بداية الحرب. وبما أن الذرة تستخدم كعلف للحيوانات والطيور فمن المتوقع أن تزيد أسعار اللحوم بشكل غير مسبوق في الشهور القادمة. ونفس الشيء ينطبق على الزيوت النباتية. ومن المتوقع أيضًا زيادات جديدة في أسعار الأسمدة (زاد سعر الأمونيا وهي مكون أساسي في السماد بنسبة 260% حتى قبل الحرب وتشكل بيلاروسيا وأوكرانيا مصدرًا أساسيًا للأمونيا).

وعلى الرغم من أن الزيادة الضخمة في أسعار الغاز والبترول لن تؤثر بشكل مباشر على السوق المصري لما لدى الحكومة من مخزون احتياطي وإنتاج محلي، فاستمرار الحرب لفترة أطول سيُترجم بشكل حتمي إلى زيادة في أسعار الوقود والطاقة.

اليسار بين الموقف من الحرب والموقف من آثار الحرب

تشكل الحرب الحالية تحديًا كبيرًا أمام اليسار العالمي والمصري. وكما أوضحنا أعلاه، هناك الكثير من التخبط في المواقف اليسارية؛ فهناك من يؤيد حرب بوتين سواء صراحةً أو ضمنيًا، لمجرد أن الإمبريالية الأمريكية والأوروبية تدعمان أوكرانيا عسكريًا ودبلوماسيًا واقتصاديًا، وربما أيضًا كنوع من الحنين للماضي الستاليني. مثل هذه المواقف بالطبع خاطئة تمامًا، فهي تتغاضى عن الطابع الإمبريالي التوسعي للنظام الروسي ولمغامرة بوتين. وهناك أيضًا من يعارض الغزو الروسي دون اعتبار لدور الإمبريالية الأمريكية والاتحاد الأوروبي في دفع روسيا إلى الحرب من خلال التوسع شرقًا.

لابد بالطبع من الوقوف بشكل واضح ضد الغزو الروسي لأوكرانيا ومع حق شعب أوكرانيا في الاستقلال وفي حماية سيادته على أرضه، ولكن يجب أيضًا رفض دور الناتو في توسيع مناطق نفوذ الإمبريالية الأمريكية لتشمل أوكرانيا. لابد من رفض الإمبريالية الأمريكية والروسية معًا.

ومن البديهي ضرورة أن يشارك اليسار عالميًا في الحملات المناهضة للحرب، وقد رأينا كيف اندلعت على الفور حركة مناهضة للحرب في المدن الروسية من اللحظة الأولى، رغم القمع الأمني. وقد وقع أكثر من مليون شخص على بيان مناهض للحرب، واعتقل خلال الأيام الأولى للحرب أكثر من 7000 متظاهر يعارضون الغزو الروسي لأوكرانيا في سان بطرسبورج، منهم سيدة مسنة عاشت في المدينة خلال الحصار النازي للمدينة في الحرب العالمية الثانية، والذي دام 872 يومًا. وقد أدت المظاهرات المناهضة للحرب يوم 6 مارس إلى اعتقال 5000 شخص، نصفهم في موسكو. وتقوم الجامعات الروسية بفصل الطلاب المشاركين في المظاهرات. أما الشرطة فتقوم بتوقيف المارة في الشوارع والمترو وتفتيش الهواتف المحمولة بحثًا عن رسائل معارضة. على اليسار العالمي، بما فيه اليسار المصري، التضامن بكل الأشكال الممكنة مع حركة مناهضة الحرب في روسيا.

ولكن إلى جانب الحملات المناهضة للحرب، يواجه اليسار خاصة في مصر والبلدان المماثلة تحديًا لا يقل خطورة. فكما رأينا ستتضاعف أسعار السلع والخدمات الرئيسية من غذاء ومواصلات وطاقة وغيرها، وبالطبع ستحمل الحكومة العبء الأكبر من تلك الزيادات للغالبية العظمى من المصريين الفقراء من عمال وفلاحين وموظفين، وكما أوضح البيان الأخير لحركة الاشتراكيين الثوريين، فقد جردت الديكتاتورية الحالية الجماهير المصرية من كافة الأسلحة التي تمكنهم من النضال ضد الهجوم الآتي على مستوى معيشتهم، من نقابات وأحزاب ومنظمات مجتمع مدني. إن إعادة بناء هذه الأسلحة وبناء معارضة قادرة على مواجهة سياسات التجويع القادمة هو التحدي الأكبر أمام اليسار المصري اليوم.

الاستعمار والحرب جزء من الرأسمالية

▪ في رمشة عين سقطت معاهدات نزع السلاح واتفاقيات السلام الكاذبة وكل الجهود الدبلوماسية للتحكم في الأزمة، واندلعت الحرب الروسية ضد الشعب الأوكراني...ها هي الإمبريالية الروسية الصاعدة تعبر عن أطماعها الاستعمارية بشكل سافر، فكما عبر عن ذلك بوضوح بيان التيار الاشتراكي الأممي بشأن الأزمة الأوكرانية.

▪ "ليس بوتين صديقًا للطبقةِ العاملةِ في العالم؛ إنه يعتلي نظامًا قمعيًا نيوليبراليًا ويلجأ إلى قومية روسيا العظمى؛ ليدعم نفسه أيديولوجيًا، وقد سعى إلى إعادة بناء قوة روسيا العسكرية، وأن يستعملها ليحافظ على سيطرةِ موسكو على "خارجها القريب" يلحظُ هذا في سحقِ حركة الاستقلال في الشيشان، وحرب عام 2008 مع جورجيا، واستيلائها على القرم في 2014، وتدخلها الحديث ضد الاحتجاجات الشعبية في كازاخستان، وفي أماكن أبعد، استُخدمت قوة روسيا العسكرية في الدفاع عن نظام بشار الأسد الوحشي في سوريا؛ ومع ذلك، فقد كانت واشنطن هي التي صعدت الأزمة الحاليّة، مدفوعةً من حكومة بوريس جونسون المتخبطة في بريطانيا؛ لقد رفضت إدارة جو بايدن أن تفكر جديًا في مطالب بوتين الرئيسة، وقد صعدت شفهيًا خطر الحرب (بمعارضةٍ لاحتجاجات حكومةِ أوكرانيا الداعمة للغرب) وقد حركت هي، وحلفاؤها في حلف شمال الأطلسي قطعاً عسكريةً أكثر إلى قرب حدود روسيا."

▪ خبرة ثورية:

▪ قبل 115 سنة تمكن التيار الماركسي الأممي داخل الأممية الثانية من إسقاط موقف خطير ورد ضمن مسودة القرار الذي تقدمت به، وقتئذ، قيادة الأممية لمؤتمر شتوتغارت عام 1907، الذي خصص لتدارس مسألة التصعيد العسكري بين القوى الإمبريالية وقضية الاستعمار.
▪ جاء في مسودة القرار : "أن المؤتمر لا يرفض من حيث المبدأ وفي جميع الأوقات السياسة الاستعمارية ويجب على الاشتراكيين إدانة تجاوزات الاستعمار، ولكن دون التخلي عنه. إذ يجب علينا [بحسب المسودة] "الدعوة إلى إصلاحات، لتحسين حياة مواطني المستعمرات... ولتثقيفهم من أجل الاستقلال بكل الوسائل الممكنة."

▪ عارض التوجه الماركسي الأممي بقيادة لينين وروزا هذا القرار الشوفيني الذي كان يعكس بداية الانحطاط النظري والسياسي والتخلي السافر عن الماركسية والأممية من قبل قيادة الأممية الثانية والاستعاضة عنهما بتبني وجهة نظر انتهازية كاملة، وتمكنا إلى جانب آخرين من إسقاطه، بفرض قرار مناهض للحرب: "في حالة وجود خطر اندلاع حرب من واجب العمال وممثليهم في البرلمان في الدول المشاركة في الحرب بذل كل جهد ممكن لدرء اندلاع الحرب عن طريق اتخاذ تدابير مناسبة، والتي يمكن لها بالطبع تغيير أو تكثيف تجذر الصراع الطبقي ومجمل الوضع السياسي...وفي حال اندلاع الحرب رغما عن ذلك، من واجبهم اتخاذ التدابير لتصل إلى نهايتها بأسرع وقت ممكن، وأن يستفيدوا من الأزمة الاقتصادية والسياسية التي تحدثها الحرب لكي يثيروا الجماهير ويسرعوا في إسقاط الطبقة الرأسمالية الحاكمة."

▪ صوت لصالح هذا الموقف 128 صوتا مقابل 108 يتقدمهم كارل كاوتسكي وإدوارد برينشتين...وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى عام 1914، والتي هي في أساسها صراع بين القوى الإمبريالية لتقسيم المستعمرات، اتضح أن دعم غالبية قادة الأممية الاشتراكية لهذه الحرب وللمجازر الوحشية المترتبة عنها كان متوقعا...فأعلن لنين عن إفلاسها التام وبدأ التفكير والعمل في بناء بديل أممي جديد...بفضل هذا الموقف استطاع البلاشفة انتزاع ثورتين مظفرتين في فبراير وأكتوبر 1917 بل وتمكنوا من تخليص الشعب الروسي من المصيدة الدموية بعد اتفاق وقف الحرب مع ألمانيا رغم التنازلات القاسية التي قدمها البلاشفة لنيل السلم... والتمهيد لتأسيس الأممية الثالثة عام 1919.

▫ حرب جديدة في سياق عالمي مأزوم

▪ في ضوء هذه الخبرة الثورية في مناهضة الاستعمار، ترى كيف ينبغي أن يتحرك اليسار ضد الحرب وضد الفظاعات المتوقعة جراء الغزو الروسي لأوكرانيا، وتنامي النزعة العسكرية بين الرساميل الدولية في سياق موسوم بتفاقم أزمة بنيوية مركبة؟

١. أزمة الديمقراطية التمثيلية الناتجة عن عصر الأنوار وصعود الطبقة البرجوازية، وعجزها البين عن تمثيل الحد الأدنى من مصالح من هم في أسفل الهرم الاجتماعي.
٢.معالم اندلاع أزمة اقتصادية وطاقية غير مسبوقة في سياق النتائج الوخيمة التي خلفتها الحالة الوبائية المستمرة.

الاستعمار والحرب جزء من الرأسمالية

٣.أزمة اجتماعية وصحية خانقة (غلاء أسعار، بطالة واسعة، انهيار الخدمات العمومية وتراجعها حتى في البلدان الرأسمالية الكبرى كفرنسا وغيرها...) يزيد من تفاقهما مواصلة فرض النموذج النيوليبرالي القائم على تعميق التفاوتات الطبقية، وتدعيم أسس الدولة البوليسية!
٤.أزمة بيئية معقدة وغير مسبوقة (تغيرات مناخية عميقة، ندرة المياه...).
٥.ضعف كبير لقوى اليسار في ظل وجود تنظيمات شبه أممية مشتتة لا تكاد ترى بالعين المجردة في ميزان القوى العالمي!

أي موقف لليسار الأممي!

▪ في نظري، على أقسام كبيرة من اليسار أن تعود إلى جادة الصواب الأممي (رفض الحرب، والدعوة إلى تعزيز الإخاء بين عمال العالم وشعوبه المضطهدة...) وذلك بالتأكيد على أن بوادر الحرب "الدولية" الحالية، تمثل تعبيرا صريحا عن احتدام التنافس بين الرساميل الإمبريالية، لا سيما بين المعسكر الأمريكي الأوربي والمعسكر الصيني- الروسي وحلفائه، وليست تعبيرا عن بروز أقطاب جديدة، يستدعي، كما تقول تيارات اليسار الستاليني، الوقوف مع العدو الأقل شراسة!

▪ إنها حرب على أرضية الأزمة الرأسمالية، وعلى أرضية السباق على التسلح وعلى السيطرة على مناطق النفوذ ومصادر الطاقة...إنها حرب، أيضا، لتحديث الأسلحة الاستراتيجية وتجريب أسلحة جديدة...إنها حرب الشركات الكبرى المستثمرة في الصناعات الحربية ضد الحياة الإنسانية، إنها حرب اقتصادية بامتياز بين الصين وأمريكا.

▪ لكن تظل الحرب رغم فظاعتها فرصة لتصويب الوجهة، والوقوف حيث ينبغي أن يقف أي مناضل أممي: مصالح الطبقة العاملة والشعوب المضطهدة ضد الإمبريالية سواء كانت غربية أو شرقية!

▫ عودة إلى الخبرة الثورية: روزا لوكسمبورغ والحرب!

▪ كم كانت روزا لوكسومبورغ صادقة حينما كتبت على إثر اندلاع الحرب العالمية الأولى، منذ قرن ونيف من الزمان: "سيتوقف الجنون وصناعة الجحيم فقط عندما يستيقظ عمال ألمانيا وفرنسا وبريطانيا وروسيا من هيجانهم، وعندما يمدون يد الصداقة إلى بعضهم البعض، ويسقطون جوقة الضباع الإمبريالية المتوحشة صارخين ذلك الهتاف المدوي للحركة العمالية الحديثة: "يا عمال العالم اتحدوا!"

▪ وبحس رؤيوي لا مثيل له أضافت روزا لوكسمبورغ: "المجتمع البرجوازي يواجه معضلة، إما التحول إلى الاشتراكية، أو العودة إلى الهمجية... نحن نواجه خيارا: إما انتصار الإمبريالية وتراجع كل الحضارة، كما كان الحال في روما القديمة، نحو الإبادة والتدمير والانحطاط؛ نحو مقبرة رتيبة، أو انتصار الاشتراكية؛ انتصار الطبقة العاملة الأممية الواعية على الإمبريالية المتوحشة وأداتها: الحرب. هذه هي معضلة تاريخ العالم، أو أن سيف الطبقة العاملة الواعية يكون قد سبق عذله."

▫ ما العمل؟

▪ وحدها الأخوة العمالية قادرة على وقف الحرب، وحدها الإضرابات العمالية الواسعة والمتجذرة في موسكو وكييف وواشنطن وبرلين وباريس ولندن قادرة على إنقاذ أرواح الأبرياء، حتى لا تضيف الهمجية الإمبريالة قبور جديدة بلا اسم!

لا موسكو لا واشطن وحلف شمالها الأطلسي, تسقط الإمبريالية في كل مكان!
الحرية والسلم للشعوب!

لينين.. أسوأ كوابيس بوتين

قال كارل ماركس ذات مرة واصفًا إرث الماضي أنه "يجثم كالكابوس على أذهان الأحياء". أوضح فلاديمير بوتين أنه مُطارَد بإرث فلاديمير لينين والثورة العمالية في 1917 التي أسقطت الإمبراطورية الروسية القيصرية. صرح بوتين قبل أيام من أمره بالهجوم على أوكرانيا أن "روسيا أنشأت أوكرانيا الحديثة بالكامل، أو على وجه الدقة، روسيا البلشفية الشيوعية". وأضاف بوتين أن لينين كان "صانع ومصمم أوكرانيا" وهي الخطوة التي يلومه بوتين عليها لأنها قسمت الدولة الروسية "التي لا تتجزأ". لا يزال لينين يطارد بوتين؛ وهذا لأن السياسات الثورية للحزب البلشفي، الذي قاده لينين، لا تزال مرشدًا للمناضلين المخلصين من أجل الحرية والديمقراطية للطبقة العاملة اليوم.

كانت الثورة الروسية في 1917 علامةً فارقة في تاريخ نضال الطبقة العاملة على مستوى العالم، حيث شهدت ميلاد أول دولة عمالية في العالم تحت سيطرة المجالس الديمقراطية في أماكن العمل، أو السوفييتات. ولا يزال صدى الإنجازات الديمقراطية لتلك الفترة مستمرًا حتى بعد 100 سنة، رغم استمرار تلك الميزة لعدة سنوات قصيرة قبل أن تساهم العزلة الدولية في القضاء على الديمقراطية العمالية على يد الاستبداد البيروقراطي تحت حكم جوزيف ستالين.

أحد تلك الإنجازات طويلة المدى كان إنشاء دول مستقلة في الأراضي التي حكمتها الإمبراطورية الروسية القديمة، وهي الدول التي نشأت في ظل عاصفة وضغط الثورة والحرب الأهلية الناتجة عنها. شمل هذا، بالإضافة إلى أوكرانيا، دول وسط آسيا مثل كازاخستان وأوزبكستان، وفي القوقاز وفي كل شرق أوروبا مع تأسيس بولندا وفنلندا ودول البلطيق. لم يكن تأسيس تلك الدول نتيجة لينين وحده كما تصفه نسخة بوتين من التاريخ بـ"الرجل العظيم"، بل كان نتيجة النضال الديمقراطي للقوميات التي قمعتها الإمبراطورية الروسية لزمنٍ طويل وضمتها بالقوة للدولة الروسية. قبل 1917، تراوح ذلك القمع من القوانين التي تشبه الفصل العنصري الموجهة ضد ملايين اليهود الذين عاشوا في الأراضي الروسية، إلى شكلٍ شديد العنف من الاستعمار الاستيطاني ضد الكازاخ، والقيرغيز، والأوزبك، وإلى الفرض القسري للغة الروسية في المدارس والحكومة في مناطق مثل أوكرانيا فيما كان يسمى "إضفاء الطابع الروسي" أو "الترويس".

ارتبط لينين والبلاشفة بذلك النضال الديمقراطي عندما طرحوا أن الثورة العمالية فقط هي ما يمكنها إسقاط الإمبراطورية القمعية التي استعبدت العمال اقتصاديًا وسياسيًا، وأن الاشتراكيين يجب أن يسعوا لتوحيد نضال كل المقهورين تحت راية العمال. كان على العمال الروس النضال لتحقيق تلك الوحدة كما وصف لينين ضد "كل مظهر من مظاهر الاستبداد والقمع، بغض النظر عن مكان حدوثه أو الطبقة التي يؤثر عليها" وأن "يعمموا كل هذه المظاهر، لإظهار صورة موحدة عن عنف الشرطة واستغلال الرأسماليين". وكان هذا يعني دعم القوميات المضطهَدة تحت الإمبراطورية الروسية في نضالهم من أجل حق تقرير المصير.

كان أحد أول إعلانات الحكومة السوفييتية، بعد تمرد الطبقة العاملة في قلب روسيا في أكتوبر 1917، عن وضع الأمم المضطهدة مثل أوكرانيا. أعلن السوفييت "إلغاء كل الامتيازات والقيود القومية والقومية الدينية. وحق شعوب روسيا في تقرير مصيرها، حتى لو أدى ذلك إلى الانفصال وتشكيل دولة مستقلة".

اتهم المحافظون البلاشفة في كثير من الأحيان بالسخرية فيما يتعلق بتلك الإعلانات، بشكل متسق مع فهمهم للثورة الروسية الجماهيرية والتشاركية والديمقراطية كمؤامرة سلطوية. طرح مارك كاتز، على سبيل المثال، في مجلة ناشيونال إنترست بخصوص تعليقات بوتين الأخيرة حول لينين وأوكرانيا، أن رؤية لينين وبوتين حول المسألة وصلت لنفس الشيء، وهو الرغبة في "استعادة السيطرة على الأجزاء المفقودة من الإمبراطورية الروسية"، وأن لينين، من وجهة نظر كاتز، كان أكثر واقعية من بوتين، حيث عرف أن "اتباع نهج أكثر ملائمة نحو القومية الأوكرانية سيخدم مصالح روسيا على المدى البعيد".

هناك دراسات أخرى جادة، مثل التي قام بها جيريمي سميث في 1996، منحت التقدير اللائق لتماسك تطلعات البلاشفة الثورية الديمقراطية، وإنجازاتهم بعد 1917. دعمت الحكومة السوفييتية حقوق القوميات التي قمعتها روسيا فيما قبل، بدلًا من استخدام دعوات حق تقرير المصير بسخرية كحجة لإعادة الإمبريالية الروسية، لتكسب دعمهم في سبيل الإمكانية التحررية لمجتمع يديره العمال ومن أجل العمال. وتضمن هذا جهودًا لدعم الحكم الذاتي للفئات المضطهدة لجعل الحكم السوفييتي بشكل أساسي "حكم الشعب". اعترفت الحكومة السوفييتية الجديدة بهذا الحكم الذاتي ليس فقط حين قُدِّمَت به الالتماسات، بل وبشكل استباقي أيضًا. أُنشِئت 13 جمهورية ذات حكم ذاتي، بين عامي 1918 و1923، ولا تزال موجودة حتى اليوم في أراضي روسيا الحديثة.

ظهر ذلك الالتزام نحو تقرير المصير بشكل واضح في الترويج لسياسة التوطين بدلًا من الترويس الإمبريالي الذي كان قائمًا حتى 1917. شمل هذا التعليم بلغات مثل الأوكرانية والبيلاروسية والكازاخية والأذرية في الدول الخاصة بهم. ولا يمكن فصل الترويج للغات الأصلية عن الجهود التعليمية الضخمة التي نفذتها الحكومة السوفييتية بعد الثورة، حيث ارتفعت معدلات معرفة القراءة والكتابة أكثر من الضعف في خلال 10 سنوات.

لا يعد هجوم بوتين على المكتسبات الديمقراطية لثورة أكتوبر مجرد هذيان ديكتاتور مجنون، ولكنه يعكس رغبة محسوبة لتوطيد نفوذ وقوة الدولة الروسية الحديثة والتي يراها بوتين وريثة إمبراطورية القياصرة. وكما كان الوضع تحت حكم القياصرة، يُستخدم القمع الممنهج لاستمرار مجتمع به هذا الكم الهائل من اللامساواة والظلم والاستغلال، حيث الإمبريالية في الخارج والقمع في الوطن.

لذلك مرَّرت روسيا في 2018 قانونًا جديدًا يمنع الجمهوريات ذات الحكم الذاتي من تعليم الأطفال بلغاتهم الأصلية لأكثر من ساعتين أسبوعيًا، مع جعل تلك التعليمات اختيارية. تبع هذا، في 2020، استفتاءٌ دستوري يعترف باللغة الروسية "لغة القومية المُشكِّلة للدولة" وفي نفس الوقت حظر الزواج من نفس الجنس وزيادة صلاحيات الرئاسة التي يشغلها بوتين.

نرى في تلك الأفعال وفي غزو بوتين لأوكرانيا بوضوح أن مصالح الأوليغارشية الاستغلاليين من الرأسماليين، تلك الأوليغارشية التي تحكم روسيا اليوم هي انعكاسٌ لمصالح القيصر والإقطاعيين الأرستقراط الذين وقفوا خلفه. وشاهد اليوم أن كثير من الروس انتفضوا لمعارضة الإمبريالية، مثل الثورة ضد القيصر أثناء الحرب العالمية الأولى. والتحدي الذي يواجه الحركة المعارضة للحرب هي أن تأخذ على محمل الجد دروس التاريخ التي يشوهها بوتين.

أدرك لينين والبلاشفة أولًا أن الطبقة العاملة هي القوة الاجتماعية التي لديها السلطة الاجتماعية في مجتمع رأسمالي حديث للتخلص من الرأسمالية ولديها المصلحة لإنشاء مجتمع ديمقراطي حقيقي لكل المضطهدين والمستغَلين. ولتحقيق هذا في ذلك الوقت، كان على البلاشفة خلق قضية مشتركة مع كل الفئات الأخرى المضطهدة من الدولة الروسية، مثل الفلاحين والأقليات الدينية والمجموعات المضطهدة على مستوى الأمة لتوحيد كل تلك النضالات في صورة سيل لا يقهر للقضاء على الطغاة.

إذا استطاعت الحركة المناهضة للحرب في روسيا اليوم وحركة المقاومة الأوكرانية الشجاعة تشكيل جبهة موحدة ضد الإمبريالية، بناءً على مصالحهم الطبقية المشتركة ضد الدولة الروسية، فإن بوتين لن يعاني من كوابيس الماضي البلشفي، ولكن من كوابيس الحاضر البلشفي أيضًا.

نفاق «التضامن» الغربي مع أوكرانيا

اتَّضح أن مقاومة الغزو والاحتلال الأجنبي، جنبًا إلى جنب مع فرض العقوبات وغيرها من الإجراءات التي تستهدف الدول التي تشن مثل هذا الغزو، أمورٌ جيدة في نهاية المطاف. لابد فقط أن يكون الهدف عدوًا للغرب مثل روسيا، وليس عميلًا له مثل إسرائيل.

أثارت الصور المروِّعة والدمار الذي حلَّ بأوكرانيا جرَّاء الغزو الروسي فزعًا واسع النطاق، صاحبه تعاطفٌ وتضامنٌ مع الشعب الأوكراني. وهذا الشعور يحفِّزه الإعلام الغربي والساسة الغربيون. كلُّ قصةٍ مروِّعة سرعان ما تتفشَّى على صفحات الجرائد وشاشات التلفزيون في الغرب. وأصبح الأوكرانيون، وهم يعدون زجاجات المولوتوف لرميها على المدرعات الروسية، يُصوَّرون باعتبارهم مقاومةً شعبيةً بطولية.

لكن، كما شهدنا مرارًا على مدار العقود الماضية، حين تُرتَكَب نفس جرائم القتل والدمار هذه على الفلسطينيين في غزة أو الضفة الغربية، يدير الغرب ظهره في أفضل الأحوال، أو يعمل كبوق دعاية للحكومة الإسرائيلية في أسوأها. وحين نشاهد صبيةً فلسطينيين يلقون الحجارة على قواتٍ إسرائيلية تحتل بلدهم، بالقطع لا يصوِّر الإعلام الغربي ذلك باعتباره حركة مقاومة "بطولية".

وكما تراهم القوى الغربية، فإن الأوكرانيين يمثِّلون ذلك النوع "الحق" من ضحايا الغزو والاحتلال، بينما الفلسطينيون ليسوا كذلك.

ماذا عن الكيان الصهيوني؟

لكن أكثرية الناس في أغلب البلدان في العالم اليوم مُتَّسقين مع أنفسهم. هناك تعاطفٌ ودعمٌ واسع النطاق مع شعب أوكرانيا في نضاله ضد الغزو الروسي، وبالمثل، تُظهِر استطلاعات الرأي دعمًا متزايدًا للنضال الفلسطيني ضد الاحتلال الوحشي لدولة الفصل العنصري.

يكمن النفاق على مستوى الإعلام والقادة السياسيين الغربيين. بالنسبة لهم، فإن إظهار التضامن مع الأوكرانيين، ودعم ذلك بإجراءاتٍ مثل العقوبات هو شيء، بينما إظهار التضامن مع الفلسطينيين شيءٌ آخر تمامًا.

لنقارن بين موقفهم من العقوبات التي تستهدف روسيا، وموقفهم أيضًا من تلك الإجراءات التي تدعو لها حركة مقاطعة إسرائيل (بي دي إس -المبادرة التي انطلقت في العام 2005).

بدأ الاتحاد الأوروبي في فرض العقوبات على روسيا في 23 فبراير الماضي، قبل أن يدشِّن بوتين غزوه لأوكرانيا. وبعد أسبوعٍ من شنِّ الغزو، كان الاتحاد الأوروبي قد طبَّق بالفعل عقوباتٍ اقتصادية واسعة المدى، بما يشمل حظرًا على التعاملات الدولية مع سبعة بنوك روسية. حُظِرَت شركات الطيران الروسية من دخول المجال الجوي للاتحاد الأوروبي أو الهبوط في مطاراته. حتى أن الاتحاد الأوروبي علَّقَ بثَّ المنافذ الإعلامية المملوكة للدولة الروسية، مثل سبوتنيك وروسيا اليوم.

إذا كان ذلك صائبًا في ما يتعلَّق بغزو روسيا لأوكرانيا، فلابد أن يكون صائبًا أيضًا حين يتعلَّق الأمر بالاحتلال الإسرائيلي الوحشي للأراضي الفلسطينية، والاضطهاد الذي يتعرَّض له الفلسطينيون.

يدَّعي الاتحاد الأوروبي أن العقوبات التي سوف تدفع المواطنين الروس إلى حافة الجوع ليست إعلانًا للحرب، بل تدشيًا لـ"السلام". لكن فرض حظرًا على واردات البضائع من المستوطنات الإسرائيلية الاستعمارية في الضفة الغربية لهي خطوةٌ تتجاوز الخط الأحمر -خرقٌ لقانون التجارة الأوروبي.

أما دعوات حملة بي دي إس لمقاطعة المؤسسات الرياضية والثقافية والأكاديمية الإسرائيلية، وسحب الاستثمارات من الشركات الدولية والإسرائيلية المتواطئة مع نظام الفصل العنصري الإسرائيلي والمستوطنات، فلم يرفضها الاتحاد الأوروبي فحسب، بل جرَّمها أيضًا في بعض الحالات.

منذ العام 2010، استخدمت السلطات الفرنسية القوانين المناهضة للتمييز لملاحقة العديد من نشطاء حملة بي دي إس. وفي العام 2019، صوَّت البرلمان الألماني لصالح تصنيف حركة بي دي إس باعتبارها "معادية للسامية". وفي الشهر الماضي، مرَّر برلمان المملكة المتحدة مشروع قانونٍ يمنع سحب تمويلات المعاشات الحكومية المحلية من الشركات البريطانية ذات الشراكة التجارية مع إسرائيل.

يتمثَّل مطلبٌ مركزي لحركة بي دي إس في فرض حظرٍ دوليٍّ شامل على الأسلحة لإسرائيل. وقد تبنَّت هذا الموقف منظمتان حقوقيتان، هما منظمة العفو الدولية وهيومن رايتس ووتش، اللتان توصَّلتا إلى استنتاجٍ بأن إسرائيل دولة فصل عنصري.

على مدار الأعوام الخمسة الماضية، أمدَّت الولايات المتحدة إسرائيل بمساعدةٍ عسكرية تبلغ حوالي 20 مليار دولار. وفي العقد الماضي، صرَّحت دول الاتحاد الأوروبي بعقودٍ عسكرية تبلغ 2 مليار يورو مع إسرائيل، بما يشمل 600 مليون يورو في العام 2012 وحده. تضمَّن ذلك ذخائر وأسلحة نارية ومكوَّناتٍ لطائراتٍ ومركباتٍ عسكرية. ولقد استُخدِمَت هذه الأسلحة في قصف غزة مرارًا، طوال الحصار الطويل الذي امتدَّ لـ14 عامًا، وقتلت المئات من المحتجين العُزَّل في الأراضي الفلسطينية المحتلَّة.

عنصرية

لا تقتصر هذه المعايير المزدوجة على مسألة العقوبات فقط بالطبع، بل يمتدُّ النفاق إلى ما هو أعمق من ذلك. يتَّضح هذا النفاق في العنصرية الصارخة التي تُستخدَم للتمييز بين الأوكرانيين الذين يستحقون تضامن الغرب، في مقابل الأفغان والعراقيين، الموصومين بأنهم "إرهابيون" أو يُنظَر إلى موتهم ببساطة باعتباره "ضررًا جانبيًا".

في 27 فبراير الماضي، قال المراسل الكبير لشبكة سي بي إس نيوز الأمريكية، تشارلي داجاتا: "مع كامل الاحترام، أوكرانيا ليست بلدًا مثل العراق أو أفغانستان شهد صراعًا مستعرًا على مدار عقود. هذا بلدٌ متحضِّرٌ نسبيًا، أوروبيٌّ نسبيًا ... لا تتوقَّع له ذلك أو لا ترغب في حدوثه له". الرسالة واضحة: أوكرانيا "بلدٌ متحضِّرٌ نسبيًا"، و"أوروبيٌّ نسبيًا". أما أفغانستان وسوريا والعراق واليمن وفلسطين، فتلك بلدانٌ غير متحضِّرة، يسكنها العرب والمسلمون وذوو البشرة الداكنة.

لم يكن داجاتا وحده في ذلك. في اليوم نفسه، قال المدَّعي العام الأوكراني السابق لشبكة بي بي سي البريطانية: "هذا مؤثِّرٌ للغاية بالنسبة لي أن أرى أناسًا أوروبيين بعيونٍ زرقاء وشعورٍ شقراء ... يُقتَلون كلَّ يوم". وقال مذيع بي بي سي، موافقًا على ما قاله الضيف: "أتفهَّم مشاعرك وأحترمها".

وَصَفَ مقدِّم البرامج على النسخة الإنجليزية من قناة الجزيرة، بيتر دوبي، الأوكرانيين الفارين من الحرب بأنهم "أناسٌ من الطبقة الوسطى الثرية" الذين "من الواضح أنهم ليسوا لاجئين يحاولون الهروب من مناطق في الشرق الأوسط لا تزال في حالة حرب؛ ليسوا أناسًا يحاولون الهروب من مناطق في شمال إفريقيا؛ بل إنهم يبدون مثل أيِّ عائلةٍ أوروبية قد تكون في جوارك".

هذه التناقضات ليست مجرد انعاكسٍ للإعلام الغربي، رغم أن العنصرية راسخةٌ وعميقةٌ بشكلٍ واضح. مثل تخدم هذه الأنماط العنصرية مصاح حكَّام الدول الإمبريالية الغربية. يُنظَر إلى أولئك الناس من بلدانٍ مثل العراق وأفغانستان، وأولئك الذين يفرون من الحروب والفقر وانعدام الاستقرار في شمال إفريقيا، وكأنهم من غير البشر، ويُصوَّرون وكأنهم لا يستحقون التعاطف، لسببٍ بسيط هو أنهم ضحايا الهيمنة الإمبريالية الغربية على هذه المناطق. وبالتالي لابد بأيِّ ثمن من إخفاء حقيقةٍ أنهم ضحايا خشية أن تُثار أسئلةٌ حول سعي الولايات المتحدة وحلفائها للسيطرة والهيمنة على هذه الأجزاء من العالم (أحيانًا بالقوة العسكرية الأكثر بطشًا).

لكن بالنسبة لضحايا العدوان الروسي، فهذا أمرٌ مختلف. في الحالات التي شهدت تحرُّكاتٍ روسية تفرض تهديدًا على الهيمنة الأمريكية والغربية على الأسواق والموارد العالمية، يُصوَّر الضحايا باعتبار أنهم يستحقون التعاطف والدعم. ومثل هذا التعاطف ليس حصرًا على الأوروبيين البيض مثل الأوكرانيين، بل نتذكَّر في هذا السياق موقف الحكومات الغربية من الكفاح "البطولي" لأسامة بن لادن والمجاهدين الذين قاتلوا ضد الغزو السوفييتي لأفغانستان في الثمانينيات.

نتضامن مع كلِّ ضحايا الإمبريالية

ليس من الحكمة أن يستند الأوكرانيون على الصورة "البطولية" الحالية لمقاومتهم في عين الإعلام الغربي وقادة السياسة الغربيين، وكأنها حالةٌ ستدوم إلى الأبد. لقد أظهرت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والقوى الغربية أنهم على استعدادٍ تام لإلقاء هؤلاء "الضحايا الجديدون بالتعاطف معهم" في الهاوية إذا تطلَّبت مصالحهم الإمبريالية ذلك.

حين قصفت روسيا الشيشان وسوريا، أدار لها الإعلام الغربي ظهره. وفي سوريا، كان ضحايا هجمات نظام الأسد بالأسلحة الكيمياوية يستحقون التعاطف في البداية في نظر الإعلام الغربي. لكن بمجرد أن تحوَّلَت الثورة السورية إلى حربٍ أهلية، بما يشمل أطرافًا لم تكن واشنطن ذات سيطرةٍ عليهم، كانت إدارة أوباما سعيدةً بالتوصُّل إلى اتفاقٍ مع بوتين بالسماح له بقصف حلب قصفًا عشوائيًا، بينما تركِّز الولايات المتحدة جهودها على تدمير تنظيم داعش.

لدى كلٍّ من روسيا والولايات المتحدة مصلحةٌ في الإبقاء على الأسد في السلطة في سوريا، حتى رغم أن ضحاياه وصلوا إلى 350 ألف قتيل، علاوة على ملايين اللاجئين. وبينما ربما كان لدى أوباما إستراتيجيةٌ مختلفة لتحقيق مصلحته، فقد كان ازدراؤه للمعارضة الديمقراطية داخل سوريا أمرًا مشتركًا مع بوتين.

وبالمثل، حين كانت هيلاري كلينتون بحاجةٍ إلى تبرير تمديد وتصعيد الاحتلال الأمريكي لأفغانستان، الذي استمرَّ طيلة عقدين، كانت النساء والفتيات الأفغانيات بنظرها ضحايا جديراتٍ بالتعاطف معهن وبحاجةٍ إلى الإنقاذ من طالبان. وبمجرد أن رحلت القوات الأمريكية من كابول في أكتوبر الماضي، لم يعد هناك غرضٌ للتحدث عن النساء الأفغانيات -مُسحن مسحًا من شاشات التلفاز، بينما كانت بلادهن تقبع في الخراب.

بالنسبة للاشتراكيين، فإن النهج في هذا الصدد واضحٌ تمامًا. يستحق ضحايا العدوان والغزو الإمبريالي تضامننا ودعمنا، بصرف النظر عمَّن هم، وبصرف النظر عن بلدهم. يستحق الأوكرانيون الذين يقاتلون الغزو الروسي ببسالة ذلك التضامن والدعم. وهكذا أيضًا الفلسطينيون، والأفغان، والسوريون، والعراقيون، وكلُّ أولئك الذين كانوا، أو لا يزالون، ضحايا للطموحات الإمبريالية للولايات المتحدة والقوى الغربية.

▫ اشتراكي روسي يكتب "بوتين يصعِّد القمع.. لكن حالة الهستيريا الوطنية أقل"

▪ ارتفاعٌ كبير في الأسعار في روسيا، والانهيار الاجتماعي أصبح حتميًا. ينعكس الهجوم في الخطوط الأمامية دائمًا إلى هجومٍ داخل الوطن، والحرب الروسية الحالية تؤكد تلك القاعدة.

▪ كلما زاد انخراط روسيا في الحرب العدوانية، زاد القمع ضد الحركات الاجتماعية والمعارضة للحرب في الداخل. لا أحد منا يشعر بالأمان اليوم؛ فقوات فلاديمير بوتين الأمنية تتحدث بشكل علني عن قمع وشيك، وتفرِّق الشرطة وقوات الحرس الوطني المسيرات المعارضة للحرب، ويعتقلون النشطاء.

▪ لم يمر سوى أسبوع على الحرب، ورغم ذلك لدينا هذه الأمثلة على حالة "التضييق الأمني". تهدد القوات الخاصة بتطبيق المادة 275 من القانون الجنائي الروسي، "الخيانة ضد الوطن"، على النشطاء المعارضين للحرب، والتي تصل عقوبتها إلى الحبس لمدة 20 سنة. ويمكن إدراج الدعاية ضد الحرب تحت هذه المادة أيضًا.

▪ حُظرت وسائل الإعلام من استخدام كلمتيّ "حرب" و"احتلال"، وتُغلَق الآن وسائل الإعلام المعارضة، مثل إذاعة "صدى موسكو."

▪ طلبت "الدائرة الاتحادية لرقابة الاتصالات وتقنية المعلومات والإعلام" من 10 وسائل إعلام حذف مقالات عن الحرب على أوكرانيا، بعد تصنيف السلطات لمحتوى المقالات بـ"المعلومات غير اللائقة." صدرت تلك التعليمات إلى وسائل إعلام مثل Mediazona وDozhd وNovaya Gazeta وEcho Moskvy وInoSMI وNew Times وSvobodnaya Presse وKrym.Realii وZhurnalist and Lenizdat.

▪ يلجأ الناس اليوم للمصادر الروسية فقط بشكل حصري لتغطية وضع الجيش الروسي. يقول مكتب المدعي العام لروسيا الاتحادية إن شبكة فيسبوك متورطة في انتهاكات ضد حقوق وحريات الإنسان الأساسية وحقوق مواطني روسيا الاتحادية، بما يشمل الحقوق التي تضمن حرية وسائل الإعلام الجماهيرية. ويواجه فيسبوك وإنستجرام مشاكل تقنية في روسيا، تجعل التواصل مع الرفاق الأجانب مستحيلًا.

▪ بدأ جنود الاحتياط الذكور في تلقي إشعارات من مكاتب التسجيل العسكري والتجنيد في مناطقهم بدعوى "توضيح البيانات". وكل هذه الأسباب تجعلنا نعتقد أن هذا سيؤثر على النشطاء المعارضين للحرب في المقام الأول.

▪ دخلت المواجهات بين روسيا والناتو مرحلةً جديدة، حيث تجري الحرب في المناطق السكنية في أوكرانيا المضطهدة. والروس، الذين فرحوا في 2014 بتوسع بوتين الإمبريالي، أصبحوا الآن ساخطين. بدأت الأسعار في الزيادة بشكل كبير إلى درجة أن الانهيار الاجتماعي في روسيا أصبح حتميًا، وتغادر الأعمال روسيا الآن بمعدلات مذهلة.

▪ حالة الهستيريا الوطنية الآن أقل بشكل واضح عما كان عليه الوضع من 8 سنوات. الوضع الآن خطيرٌ للغاية، ولا يوجد في تاريخ روسيا الحديث ما يشبه ذلك. كل تواصل مع الرفاق الأجانب قد يكون الأخير. نطالب كل النشطاء المعارضين للحرب واليساريين بنشر الخبر.

▪ أوقفت روسيا بوتين الخطوط الجوية مع الأغلبية العظمى من الدول، مما يجعل الهجرة من أجل اللجوء السياسي مستحيلة عمليًا. ومن واجب كل الاشتراكيين الأمميين، إذا استطاعوا، مساعدة النشطاء الاجتماعيين والمعارضين للحرب الذين فروا من روسيا، للتأكد من عدم تسليمهم مرة أخرى إلى حكومة بوتين. في المقابل، فإن مهمة الاشتراكيين الروس هي مقاومة الإمبريالية في قلب روسيا بكل ما في مقدورهم.

الحرية للشعوب! والموت للإمبراطوريات!

▫ **بيان ائتلاف "اشتراكيون ضد الحرب" في روسيا**

▫ تشكَّل ائتلافٌ جديد للاشتراكيين المناهضين للحرب في روسيا. وما يلي ترجمة بيانهم الرسمي:

▫ نكثت الحكومة الروسية وعودها بتحقيق السلام والاستقرار وقادت البلاد نحو حربٍ ونكبةٍ اقتصادية.

▪ وكعادة الحروب عبر التاريخ، أدت هذه الحرب إلى انقسامنا إلى معسكرين؛ أحدهما مؤيد للحرب والآخر معارض لها. تحاول الآلة الاعلامية للكرملين إقناعنا بالاصطفاف خلف الحكومة، وأن دعاة السلام هم من المارقين البائسين والليبراليين الموالين للغرب ومرتزقة العدو. إنها أكذوبة فوق الاحتمال. لقد أصبح شيوخ الكرملين أقليةً بينما الأغلبية في روسيا لا يريدون حربًا بين الأشقاء، بمن فيهم أولئك الذين لا يزالون يثقون في الحكومة.

▪ إنهم يغمضون أعينهم قدر المستطاع فلا يرون كيف ينهار العالم الذي رسمته الآلة الدعائية الروسية أمامهم. لا يزال الكثيرون يأملون أنها ليست حربًا، ناهيكم عن كونها حربًا عدوانية، بل عملية خاصة لـ"تحرير" الشعب الأوكراني. غير أن اللقطات المروعة للقصف الوحشي للمدن ستحطم هذه الأساطير قريبًا. وحتى أكثر المخلصين لبوتين سيقولون لم نمنحك موافقةً على هذه الحرب الجائرة.

▪ وبالفعل، عبَّر اليوم عشرات الملايين من الشعب في أنحاء البلاد عن خوفهم واشمئزازهم من أفعال إدارة بوتين. هؤلاء أناسٌ من قناعاتٍ متنوعة، ومعظم من أطلقوا تلك الدعوات ليسوا ليبراليين كما تدعي دعاية النظام، فمن بينهم عدد ضخم من اليساريين ذوي التوجهات الاشتراكية أو الشيوعية. وهؤلاء الناس -أغلبية الشعب- هم وطنيون حقيقيون.

▪ يُقال لنا إن المعارضين لهذه الحرب منافقون لا يقفون ضد الحرب بل يقفون مع الغرب، وهذا هراء. نحن لم نكن قط من الداعمين للولايات المتحدة وسياساتها الامبريالية. لم نقف صامتين حينما قصفت القوات الأوكرانية دونتسك ولوهانسك، ولن نصمت الآن حينما تُقصَف خاركيف وكييف وأوديسا بأوامر بوتين وزمرته.

▪ هناك الكثير من الأسباب للنضال ضد هذه الحرب. وبالنسبة لنا، نحن المدافعون عن العدالة الاجتماعية والمساواة والحرية، هناك أسباب عديدة نولي لها أهميةً خاصة:

▪ إنه غزو جائر، فلا يوجد تهديد لوجود الدولة الروسية يتطلَّب إرسال جنودنا ليُقتلوا أو ليموتوا. إنهم لا "يحرِّرون" أحدًا، ولا يساعدون أيِّ حركات شعبية. مجرد جيش نظامي يمزق المدن الأوكرانية الآمنة بأمرٍ من حفنة من المليارديرات مِمَّن يحلمون بالحفاظ على قبضتهم على روسيا للأبد.

▪ سينتج عن هذه الحرب عدد لا يحصى من الكوارث لشعبنا. فكلا الشعبين، الأوكراني والروسي، يدفع ثمنًا غاليًا من دمائهم. وبعد أن ينقشع الغبار، سيطال الفقر والتضخم والبطالة كل واحد منا. لن تتحمَّل الطغمة والبيروقراطية فاتورة الحرب بل يتحملها فقراء المعلمين والعمال والمتقاعدين والعاطلين. ولن يعد لمعظمنا طريقة لإطعام أطفالنا.

▪ ستحوِّل هذه الحرب أوكرانيا إلى أنقاض وروسيا إلى سجن. فقد أُغلِقَت وسائل الإعلام المعارضة، ويوضع الناس خلف القضبان لتوزيعهم منشورات أو مشاركتهم في اعتصامات سلمية، حتى لو كانت تلك المشاركة من خلال النشر عبر شبكات التواصل الاجتماعي. قريبًا سيكون للروس خيارٌ واحد؛ إما السجن وإما التجنيد. تنتج الحرب ديكتاتوريات لم تشهدها من قبل أيٌّ من الأجيال الحالية.

▪ تضاعف هذه الحرب من جميع أنواع المخاطر والتهديدات على بلادنا. حتى الأوكرانيون الذين كانوا من أسبوع مضى من المتعاطفين مع روسيا، أصبحوا الآن مجندين في ميليشيات لمحاربة قواتنا. فقد محا بوتين بعدوانه هذا كل الجرائم التي ارتكبها القوميون الأوكرانيون وكل مؤامرات الولايات المتحدة وصقور الناتو. بل وقدم لهم تبريرات لوضع صواريخ وقواعد عسكرية على امتداد حدودنا.

▪ وأخيرًا، فإن النضال من أجل السلام هو واجبٌ وطني على كل روسي. ليس لأننا نشهد أسوأ حرب في التاريخ، بل لأن هذه الحرب تهدد سلامة ووجود روسيا.

▪ يسعى بوتين إلى ربط مصيره الشخصي بمصير البلاد. وإذا نجح في ذلك، فإن هزيمته المحتومة ستكون هزيمةً للبلاد بأكملها. وسيلقى مصير ألمانيا بعد الحرب: احتلال وتقسيم إقليمي وعقدة الذنب الجماعي.

▪ هناك سبيل وحيد لتجنب كل هذه الكوارث. علينا نحن، رجال ونساء روسيا، إيقاف هذه الحرب بأنفسنا. هذه بلادنا، وليست ملكًا لعجائز مخابيل يملكون القصور واليخوت. لقد حان الوقت لكي نستعيد بلادنا. أعداؤنا ليسوا في كييف ولا أوديسا، أعداؤنا في موسكو. وقد حان وقت طردهم. فالحرب ليست حرب روسيا بل حرب بوتين ونظامه. لهذه الأسباب نعلن نحن الاشتراكيون والشيوعيون في روسيا وقوفنا ضد هذه الحرب المجرمة، ووجب علينا إيقافها لإنقاذ روسيا.

لا للتدخل
لا للديكتاتورية
لا للفقر

لا للحرب على أوكرانيا: الأوكرانيون هم من يقررون مصيرهم

▪ استيقظ العالم صباح الخميس على حربٍ شاملة شنَّتها روسيا على أوكرانيا. وبينما كانت التوتُّرات تتصاعد على مدار الأشهر الماضية، تُعَدُّ هذه الحرب تصعيدًا حادًا وربما تكون الحدث الأعنف منذ قصف الناتو ليوغوسلافيا السابقة، وهي أيضًا الغزو البري الأكبر منذ الحرب العالمية الثانية. تأتي هذه الحرب كجزءٍ من الصراع الإمبريالي بين كتلتين جيوسياسيتين، روسيا والناتو، وقد وضعت أوكرانيا بين مطرقةٍ وسندان.

▪ توقَّع أغلب اليسار تطوُّرًا أبطأ، وإلحاقًا مُحتمَلًا لدوينتسك ولوهانسك، أشبه بضمِّ القرم في العام 2014. هذه مناطق ناطقة بالروسية في معظمها، في شرقيّ وجنوبيّ أوكرانيا، ولها صلاتٌ اقتصادية وثقافية وثيقة بالجارة الشرقية -روسيا. لكنها أيضًا مناطق ذات أهميةٍ اقتصادية وإستراتيجية كبرى بالنسبة لروسيا، حيث يمثِّل إقليم القرم موطئ قدم البحرية الروسية في البحر الأسود، وتمثِّل دونيتسك ولوهانسك (اللتان أحيانًا ما يُطلَق عليهما سويًا "دونباس") منطقةً لاستخراج الفحم المُستخدَم في الصناعة، ويُنظَر إلى علاقتها المُعقَّدة مع روسيا خلال العقد الماضي باعتبارها تهديدًا على السيادة الأوكرانية وتوغُّلًا في أوروبا الأوسع.

▪ ضمَّت روسيا القرم خلال الصراع الكبير السابق في المنطقة في العام 2014، لكن دونيتسك ولوهانسك كانتا منطقةً رمادية، على مدار ما يقرب من عقدٍ كامل، كدولتين منفصلتين بدعمٍ وتدخُّلٍ روسي، وأدارهما انفصاليون مدعومون من روسيا. وفي الأسبوع الماضي، اعترف بوتين بالفعل باستقلال دونيتسك ولوهانسك، لكنه سارع بالكارثة إلى حدٍّ كبير بقصف الكثير من المواقع عبر أرجاء أوكرانيا، بما في ذلك العاصمة والمدن الغربية.

▪ يتَّسع الدمار الذي يتسبَّب فيه الغزو الروسي على نحوٍ كارثي، وكلفته البشرية سوف تزداد سوءًا في الأيام المقبلة، إذا لم يجرِ التوصُّل إلى وقفٍ لإطلاق النار، أو حتى ذلك الحين. أفاد الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي بوقوع 137 قتيلًا في اليوم الأول للحرب، علاوة على إصابة أكثر من 300 آخرين. وفي العاصمة الأوكرانية كييف، أفزعت القذائف الروسية المدينة، مما تسبَّب في إغلاقٍ للطرق وزحامٍ مروري بينما حاول المدنيون الهروب. وفي خاركيف، تحوَّلَت محطات مترو الأنفاق إلى ملاجئٍ من القصف. وفي لفيف، في أقصى غرب البلاد، انطلقت صافرات الإنذار لأول مرةٍ منذ الحرب العالمية الثانية. وتتدفَّق الآن موجةٌ جديدةٌ من اللاجئين إلى بولندا والدول المجاورة غرب أوكرانيا.

▫ العدوان الروسي

▪ ادَّعى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، في تبريره للغزو في خطابه المشؤوم صباح الخميس الماضي، وقوع إبادة جماعية أوكرانية بحقِّ المجتمعات الناطقة بالروسية، وتمادى للتأكيد على أن أوكرانيا هي المعتدي الذي يريد أن يغزو المناطق الروسية -وهو أمرٌ مستحيلٌ ببساطة بالنظر إلى القدرات الاقتصادية والعسكرية الروسية الأكبر بما لا يُقاس بالنسبة لأوكرانيا. وبصورةٍ غير مباشرة، طَرَحَ بوتين خطر الحرب النووية إذا ردَّ الناتو على روسيا عسكريًا.

▪ كرَّرَ خطاب بوتين عبارةً شائعة، إذ قال إنه يخطِّط لـ"نزع النازية" من أوكرانيا، في إشارةٍ إلى وجود ميليشيات ومنظمات يمينية متطرِّفة في الحركة القومية الأوكرانية. الأكيد في هذا الأمر أن وجود نازيين جدد في الحركة من أجل السيادة الأوكرانية لهو أمرٌ غايةٌ في الخطورة، فهم يستندون إلى تاريخٍ مُعقَّدٍ من التعاون بين القومية الأوكرانية والنازيين خلال الحرب العالمية الثانية، ووجودهم يمثِّل تيارًا حقيقيًا حتى في المناقشات الأكثر اعتدالًا بشأن تقرير مصير أوكرانيا.

▪ لكن روسيا تبالغ دومًا في دور الفاشيين في أوكرانيا، مستخدمةً هذه النقطة للدعاية، ناهيكم عن أن روسيا نفسها قد أرسلت فاشيين إلى منطقة الدونباس لإذكاء التوتُّرات الانفصالية، ولقمع التحرُّكات المناهضة للفاشية في الداخل. هذه الجماعات الفاشية، للأسف، حاضرةٌ في كلِّ جوانب هذا الصراع، والحرب لن تعالج ذلك، بل في الواقع ستشعل المشاعر القومية التي تتغذَّى عليها الفاشية. لن يؤدِّي الغزو الروسي إلا إلى توطيد وترسيخ اليمين المتطرِّف الأوكراني، إذ تقدِّم لهم عدوًا ودعايةً تجرف المزيد من الناس إلى التطرُّف اليميني، وتجلب المزيد من الأسلحة التي ستولِّد المزيد من العنف.

▪ إلى جانب مزاعم بوتين الخيالية حول أوكرانيا، تتعلَّق أسبابه الجوهرية للحرب بحلف الناتو وتعدي الغرب على ما يعتبره جزءًا تاريخيًا وشرعيًا من إمبراطوريةٍ روسيةٍ أكبر -وهو أمرٌ ترفضه شعوب الدول المجاورة بشدة. خلال الحرب الباردة، شهدنا عالمًا إمبرياليًا ثنائي القطب منقسمًا بين الاتحاد السوفييتي والكتلة المحيطة ضد الولايات المتحدة وحلفائها. وقد أفسح انهيار الاتحاد السوفييتي المجال لنظامٍ أحادي القطب تتصدَّره الولايات المتحدة. ومنذ ذلك الحين، عمل حلف الناتو على إقناع المستعمرات الروسية السابقة وحلفائها بالانضمام إلى مجال النفوذ الجيوسياسي الغربي. لكن الإمبراطورية الأمريكية اليوم في انحدار. صحيحٌ أنها لا تزال القوى العظمى الأكبر في العالم، لكنها خسرت حربًا تلو الأخرى -آخرها في أفغانستان- مما أدَّى إلى تقويض هيمنتها العالمية. ويهدِّد صعود الصين الهيمنة الاقتصادية للولايات المتحدة أيضًا.

▪ في هذا السياق، عملت روسيا على استعادة إمبراطوريتها، بما في ذلك سحق حركة الاستقلال الشيشانية في أواخر التسعينيات، وحرب 2008 على جورجيا، وضم إقليم القرم في 2014، وقمعها الاحتجاجات الشعبية في كازاخستان مؤخَّرًا، علاوة على تدخُّلها من أجل دعم الديكتاتور السوري السفاح بشار الأسد. لطالما انتاب القلق روسيا بشأن أوكرانيا، التي تمثِّل منطقة عازلةً بين الاتحاد الروسي وأوروبا، وإحدى المناطق القليلة السابقة التابعة لها التي لم تنضم بعد إلى الناتو أو الاتحاد الأوروبي. ورغم أن أوكرانيا تمثِّل ساحة المعركة الآن وتتحمَّل وحدها العبء الدموي لهذا الغزو، فما يُخاض حقًا الآن هو حربٌ إمبريالية بين الكتلة الأمريكية الأوروبية وروسيا.

▪ من الصعب تحديد الأهداف المباشرة لبوتين. يتوقَّع البعض احتلالًا روسيًا شاملًا، بينما يتصوَّر آخرون إنشاء حكومة مؤيدة لروسيا في كييف يمكنها أن تضمن عدم انضمام أوكرانيا لحلف الناتو. لكن هذه الخيارات قد يكون من الصعب تنسيقها، وهي لا تحظى بأيٍّ شعبيةٍ في الداخل، بالأخص في غرب البلاد المرتبط ثقافيًا وسياسيًا واقتصاديًا بشكلٍ أكبر بالغرب، ناهيكم عن الاحتجاج الدولي الذي سيثيره كلُّ ذلك.

▪ حين يقول بوتين إن الروس والأوكرانيين إخوة، فهو ليس مخطئًا. معظم الأوكرانيين يتحدَّثون اللغتين، ولديهم أسلافٌ مختلطة وعائلاتٌ على جانبيّ الحدود. وكدليلٍ على المصالح المشتركة بين الروس والأوكرانيين العاديين في الاتحاد سويًا ضد حربٍ أخرى، نزل الروس بشجاعةٍ إلى الشوارع في مظاهراتٍ مناهضةٍ للحرب في موسكو وسان بطرسبورج وغيرهما العديد من المدن الروسية. ووقَّعت شخصياتٌ ثقافية وعلماء، وحتى عمالٌ محليون، على خطاباتٍ مفتوحة ضد الحرب. تُعَدُّ هذه ومضةً مضيئة في وضعٍ شديد الظلمة. قوبِلَ المحتجون بالعنف من جانب الشرطة، ويظلُّ من الواضح أن روسيا تستطيع بسهولة احتواء الغضب المحلي ضد الغزو بسهولة. إن بوتين حاكمٌ استبدادي نيوليبرالي يتوق إلى الحرب، وهو عدوٌ لجماهير الطبقة العاملة في روسيا وأوكرانيا وجميع أنحاء العالم. وعدوانه على أوكرانيا لابد أن يذكِّر اليسار المتخبِّط بشأن الإمبريالية بأن كون بوتين عدوًا لا يعني أن الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي أصدقاءً. في الوقت نفسه، رغم أن تدشين الحرب جاء على يد روسيا، وأنه لا يمكن الدفاع عن غزو بوتين، علينا أن نفهم هذا الصراع في سياقه السياسي الأوسع، في سياق التنافس بين كتلتين جيوسياسيتين لا مكان بينهما لمصالح المواطنين الأوكرانيين.

▫ ردُّ الفعل الغربي

▪ يقول الرئيس الأمريكي جو بايدن إنه لن يتدخَّل عسكريًا إلا إذا تعرَّضَت دولةٌ عضوةٌ في حلف الناتو للغزو. في المقابل، تتمثَّل إستراتيجية الولايات المتحدة (والناتو) في فرض عقوباتٍ على روسيا. يقولون إن الهدف هو عزل بوتين اقتصاديًا -وبالفعل شهد الروبل الروسي أسوأ انخفاضٍ له على الإطلاق. لكن العقوبات التي يفرضها الغرب ليست من النوع الذي يهدِّد بوتين كما يدَّعي بايدن في تصريحاته الصحفية. لدى بوتين احتياطات كبيرة من العملة، وقد نجا من عقوباتٍ اقتصادية فُرِضَت عليه من قبل، علاوة على أنه يحظى الآن ببعض الدعم من الصين، التي تقف بالمثل ضد توسُّع الناتو (وهو تقاربٌ يتعيَّن على الاشتراكيين الانتباه إليه بحرصٍ شديد في الأشهر المقبلة، لأنه يهدِّد بتوحيد العدوين الإمبرياليين الأكبر للولايات المتحدة وقد يفتح الباب أمام المزيد من التصعيدات الكبرى في العالم).

▪ أشار الاقتصادي اليوناني يانيس فاروفاكيس إلى أن هناك عقوبةً واحدةً يمكنها حقًا إيقاف بوتين، ألا وهي أن تتوقَّف أوروبا عن شراء الغاز الروسي. لكن أوروبا، بالأخص الدول الأغنى منها مثل ألمانيا وفرنسا، تعتمد بشكلٍ كبير على النفط والغاز الروسيين، اللذين يتدفَّق معظمهما عبر أوكرانيا إلى بقية أوروبا. لا يعبأ الاتحاد الأوروبي بالتوصُّل إلى حلولٍ سلمية للأزمة لصالح الأوكرانيين، بل أنه يريد تجنُّب التورُّط في حربٍ مُكلِّفة قد توقف إمدادات الطاقة الروسية وتهدِّد اقتصاداته. النقطة الأساسية هنا ليست أننا بحاجةٍ إلى عقوباتٍ أقوى، فهذه العقوبات أشعلت من قبل حروبًا ومن شأنها التأثير على المواطنين بدلًا من النخب التي تستهدفها بالأساس. النقطة هنا هي أن العقوبات ليست فقط غير فعَّالة في إيقاف الحروب، بل أنها تسهِّل هذه الحروب.

▪ مثلما في أوروبا، فإن حربًا محلية سيكون لها تداعياتٌ بالنسبة لبايدن. كانت معدَّلات تأييده تتصاعد لأسبابٍ عديدة، لكن ضربةً قويةً جاءت حين سحب القوات الأمريكية من أفغانستان. لم ترتفع معدَّلات تأييده مرةً أخرى أعلى من 50% منذ استيلاء طالبان على كابول في أغسطس/آب 2021. وبالتالي لا يمكن لبايدن أن يخسر حربًا مع روسيا. هناك أيضًا انقسامٌ حزبي في النخب السياسية الأمريكية، إذ يردِّد بعض اليمين من الجمهوريين أصداء محاولات ترامب الانعزالية الشهيرة للانسحاب من النزاعات الدولية، والموقف الرخو من عدوان بوتين، والفزع المُثار من ارتفاع أصعار الغاز محليًا. وبينما روسيا هي المعتدي الواضح في هذا السيناريو، وتستحق كلَّ إدانة تتلقَّاها، فإن المهتمين بالأزمة في الولايات المتحدة، على سبيل المثال، لابد أن يحرصوا على عدم الوقوع في فخ دعم نخبهم الحاكمة.

▪ ورغم أن بوتين هو الذي شنَّ العدوان، فإن الناتو ظلَّ يحشد الأسلحة والقوات -وهي قواتٌ أكبر من روسيا بكثير- حول أوكرانيا لأشهرٍ من الزمن، وكان الحلف على درايةٍ بأن توغُّلاتٍ مماثلة في المنطقة أدَّت إلى حربٍ سابقة. وبالنسبة للاحتجاجات الصادرة من حكومة أوكرانيا الموالية للغرب، بزعامة زيلينسكي، كانت الولايات المتحدة على وجه الخصوص تثير الخطاب حول احتمالية الحرب مع روسيا لعدة أسابيع.

▪ لابد أيضًا أن ننظر إلى دموع التماسيح لدى الغرب بعين الشك. في الآونة الأخيرة، كان الإعلام الأمريكي مهووسًا بـ"قائمة اغتيالات" روسيا -خططها الإستراتيجية لاستهداف أوكرانيين مُحدَّدين بالقتل. والولايات المتحدة تعرف بضع أشياءٍ حول ذلك، بالنظر إلى لديها قائمة اغتيالاتها الخاصة.

▪ كل شيءٍ يتَّهمون بوتين به يفعلونه بأنفسهم، بدعمٍ صريح أو ضمني من بقية البلدان "الديمقراطية"، بما يشمل الغزو غير المبرَّر، كما حدث في حالة كوسوفو والعراق وليبيا. ومن الصعب أيضًا أخذ أطروحات الاتحاد الأوروبي بخصوص حماية أوكرانيا على محمل الجد، بالنظر إلى كيفية تعامل الاتحاد مع الدول الأعضاء الأفقر والأضعف على أطرافه الجنوبية والشرقية، باعتبار هذه الدول بوتقةً للعمالة الرخيصة والشعوب التي تعاني التقشف، وباعتبارها مناطق يستعينون بها في إرساء نظام من الحدود المعادية بوحشيةٍ لعبور اللاجئين.

▪ لكن الإشارة إلى سجل ومصالح الولايات المتحدة ليس على سبيل "الحياد" أو إلقاء اللوم على كلا "الجانبين" أو الإلهاء عما يفعله بوتين. بل تتلخَّص النقطة هنا في أننا لا يمكننا الوثوق في النخب الغربية الإمبريالية. تظلُّ الولايات المتحدة أكبر مموِّلٍ للعنف والحرب في العالم. لقد أسقطت أكثر من 7 آلاف قذيفة في العام الماضي وحده. وبصرف النظر عمَّا يقولونه في مؤتمراتهم الصحفية، لا تكترث دول الناتو إلا بمصالحها الاقتصادية ونفوذها السياسي، وليس بحياة المواطنين الأوكرانيين.

▫ لا لكلِّ الحروب.. لا لكلِّ الإمبرياليات

▪ لابد أن يطالب المناهضون للحرب بالانسحاب الفوري للقوات الروسية، ووقف إطلاق النار، وعودة إلى المفاوضات الدبلوماسية. لم يفت الأوان بالنسبة لبوتين لإنهاء العنف قبل أن يقتل ويشوِّه المزيد من الناس. وفي الوقت نفسه، لابد أن نكون واضحين في أن المزيد من الحشد لقوات الناتو، والعسكرة المتزايدة على الحدود الغربية لأوكرانيا، والعقوبات القاسية لن تؤدِّي إلا إلا إذكاء التوترات وإطالة الحرب.

▪ الوضع كئيب ومُفزِع ومُربِك، ولا يمكننا التظاهر بخلاف ذلك. لفترةٍ طويلة، ظلَّت الولايات المتحدة هي المُحرِّض الرئيسي على الحرب حول العالم، ولقد اعتدنا المطالبة بسحب القوات الأمريكية، مجادلين بأن العدو الرئيسي يكمن في الداخل. وبالنسبة للكثير من المواطنين في أوروبا الشرقية، ليس الموقف بهذا الوضوح، إذ يواجهون إمبريالية روسية تصعد من جديد (وهو أمرٌ لا يزالون يتذكَّرونه جيدًا)، وينظر الكثيرون منهم إلى الغرب باعتباره بديلًا. هذا هو المأزق الذي تفرضه الإمبريالية. أوكرانيا في موقفٍ معقَّد يتطلَّب منَّا مناهضة الإمبريالية بصورةٍ شاملة.

▪ تتجذَّر الصراعات بين الإمبرياليات، التي نراها بين الناتو وروسيا (وكما نراها بين الولايات المتحدة والصين، وفي الكثير من الصراعات الأصغر) بعمقٍ في نهاية المطاف في المنافسات الاقتصادية المحلية، والتي هي نتاجًا للمنافسة المترسِّخة في الرأسمالية. وإنهاء الدوافع تجاه الحرب يعني إنهاء الرأسمالية برمتها. لكن هذا ليس مبرِّرًا للموقف المجرَّد بأن الشيء الوحيد الذي يمكننا فعله الآن هو الدعوة للثورة، مثلما يفعل الكثير من اليسار. تشعل الحرب الانقسامات القومية، وهي أكثر إضرارًا بجماهير الطبقة العاملة. لابد من مقاومتها وإنهائها على الفور. وإنهاء الحرب، بالأخص إذا كان على يد الجماهير من أسفل، هو ما يمكنه فتح المجال لصراعٍ طبقي متواصل ونضالٍ ممتد من أجل الاشتراكية في أوكرانيا وغيرها.

▪ هناك مطالب عملية يمكننا رفعها الآن وفورًا. هناك حاجةٌ إلى إغاثةٍ إنسانية لكلِّ الأوكرانيين المتضرِّرين من الحرب. كلُّ مدينةٍ وكلُّ بلدةٍ عبر الولايات المتحدة لابد أن تخرج في مظاهراتٍ رافضةٍ للحرب تطالب بحقِّ الشعب الأوكراني في تحديد مصيره، وتحرُّره من أغراض روسيا ومصالح الولايات المتحدة. لابد أن تقف الحركات المناهض للحرب في الولايات المتحدة وروسيا تضامنًا مع بعضها.

▪ وهنا، في الولايات المتحدة، ولأننا موجودون في قلب هذه الإمبراطورية، فإن علينا مسؤوليةً لمعارضة التدخُّل العسكري للناتو والولايات المتحدة. إنه ليس "حيادًا" أن نذكِّر أولئك الذين يعارضون حرب روسيا على أوكرانيا بأن يندِّدون أيضًا بالتمويل المستمر من جانب بايدن للحرب السعودية على اليمن، وبالإمبريالية الأمريكية في أمريكا اللاتينية وحول العالم كذلك. والأمر المهم أيضًا هو أننا لابد أن نطالب بفتح الحدود، ليس فقط للاجئين الأوكرانيين المُتوقَّع قدومهم، بل أيضًا لكلِّ اللاجئين الفارين من كلِّ الحروب.

▪ تمثِّل أوكرانيا ساحة معركةٍ تحمل ندوبًا عميقةً من أكثر من قرنٍ من الاحتلال والإلحاق والإخضاع والمجاعة والحرب والإبادة الجماعية. من موسكو إلى واشنطن، يستحق الأوكرانيين دعمًا ثابتًا لبناء بلدٍ متحرِّرٍ من كلِّ تلك المظالم.

▫ اشتراكيو روسيا يشاركون في المظاهرات المناهضة لحرب أوكرانيا ويوجهون المقاومة نحو الصراع الطبقي

▪ خرج آلاف المتظاهرين المعارضين للحرب إلى شوارع روسيا في أول أيام الغزو الروسي لأوكرانيا. عارض المتظاهرون سياسات الرئيس فلاديمير بوتين، وأدانوا الهجوم الشامل على أوكرانيا. ونظم المتظاهرون احتجاجات في حوالي 50 مدينة في أنحاء البلاد، فيما اعتقلت الشرطة ما يقارب الـ1800 ناشط، منهم حوالي 500 شخص في موسكو وحدها.

▪ تعاملت الشرطة مع المعتقلين بشكل شرس وسادي، وانهالت بالضرب الوحشي على العالم السياسي وعالم الاجتماع المشهور جريجوري يودين، الذي نُقِلَ فاقدًا للوعي إلى مستشفى معهد سكليفوسوفسكي بوسط موسكو لتلقي العلاج.

▪ كانت هناك أيضًا أفعال فردية بدافع اليأس، مثل الفتاة الشابة التي ألقت مولوتوف منزلي الصنع على صفوف الشرطة، وتم فتح قضية جنائية للفتاة ذات الـ22 عام، على الرغم من عدم إصابة أي من قوات الشرطة. واعتُقل النشطاء الاشتراكيون الذين خرجوا لمعارضة حكومتهم وحربها الإمبريالية في كل المدن تقريبًا التي شهدت مظاهرات.

▪ وضعت جموع المتظاهرين مطالب مجردة لوقف الحرب، ولكن مهمة الماركسيين والاشتراكيين الثوريين هي توجيه الاحتجاج إلى سيادة تيار الصراع الطبقي. يجب أن يحولوا الحرب الإمبريالية نفسها إلى حرب طبقية باستخدام وسائل الدعاية والتحريض الحالية. قال فلاديمير لينين، الثوري العمالي الكبير، عن دور الثوريين في الحرب العالمية الأولى أن "شعار "السلام" خاطئ، يجب أن يكون الشعار هو تحويل الحرب القومية إلى حرب طبقية. (قد يكون هذا التحويل عملًا طويلًا، وقد يتطلب وسيتطلب توافر عدد من الشروط المسبقة، لكن يجب أن يجري كل العمل في اتجاه هذا التحول بالتحديد، بتلك الروح وعلى ذلك الخط). لا عمليات تخريب ضد الحرب ولا أعمال فردية معزولة، بل الدعاية الجماهيرية (ليس فقط بين "المدنيين") في اتجاه تحويل الحرب إلى حرب طبقية".

▪ يوجد فرق هام عن الموقف قبل 8 سنوات في 2014، عندما أيد غالبية المجتمع الروسي بشكل مباشر وعلني احتلال القرم وإنشاء روسيا لدمية "جمهوريتي لوغانسك ودونيتسك الشعبيتين". الوضع الآن مختلف، ومن الواضح أن جزءًا كبيرًا من المجتمع يعارض الحرب، أي أن المجتمع نفسه منقسم. وهذا الانقسام ليس مجموعتين متساويتين ولكنه معسكرين، أحدهما يؤيد العدوان بدرجات مختلفة، والآخر معارض بشكل من الأشكال.

▪ ما هو قادم سيكون خطوة مهمة للمجتمع الروسي المحافظ، فهذا يعني أن المظاهرات ستكون ضخمة وسوف تستمر حتى انتهاء الحرب أو قيام شرطة بوتين السرية بقمع المشاركين في الاحتجاجات الأقوى، وترهيب الباقين. وهذا يعني أن لدى الاشتراكيين والماركسيين فرصة لاستخدام حالة التحريض والدعاية الحالية لتحويل الحرب القومية إلى حرب طبقية. الاشتراكيون ملزمون باستغلال هذه المساحة، وسوف نستخدمها بالتأكيد. مع التضامن الاشتراكي من روسيا، لا حرب إلا الحرب الطبقية. لا حرب بين الشعوب، ولا سلام بين الطبقات. الحرية للشعوب والموت للإمبراطوريات.

▫ مظاهرات حول العالم احتجاجًا ضد حرب بوتين على أوكرانيا

▪ خرج الآلاف من المتظاهرين في عدد كبير من مدن العالم احتجاجًا ضد الحملة العسكرية الروسية على أوكرانيا، والتي بدأت في ساعات مبكرة من يوم الخميس 24 من فبراير.

▪ لم تمض ساعات على تدشين الغزو الروسي حتى خرج الآلاف إلى شوارع موسكو وسان بطرسبورج ومدن أخرى في روسيا استجابة لدعوات التظاهر على مواقع التواصل الاجتماعي، رافعين شعارات مناهضة للحرب رغم تحذيرات السلطات الأمنية بملاحقة المشاركين في هذه الاحتجاجات. وقد أعلنت منظمة OVD-Info الحقوقية اعتقال 1702 متظاهر على الأقل في 53 مدينة روسية.

▪ وتظاهر الآلاف بالقرب من السفارة الروسية في العاصمة اليونانية أثينا، تلبيةً لدعوات التظاهر التي أطلقها الحزب الشيوعي وحزب سيريزا اليساري، أكبر الأحزاب المعارضة في اليونان الذي رفع لافتات تندد بالحرب وتدعو للسلام، بينما رفع الحزب الشيوعي شعارات تنادي بسقوط الإمبريالية وتحيي نضال الشعوب. وواصلت المسيرة بقيادة الحزب الشيوعي طريقها نحو السفارة الأمريكية مطالبةً بخروج اليونان من حلف الناتو.

▪ وفي أيرلندا، تجمع المئات أمام السفارة الروسية في دبلن، وقد ضم هذا التجمع أوكرانيين وروس وآخرين من الدول المجاورة لروسيا المقيمين في أيرلندا، بالإضافة إلى مواطنين أيرلنديين. وقد هاجم المحتجون السيارة التي تقل السفير الروسي وقذفوها بزجاجات المياه.

▪ في سيدني بأستراليا، تظاهر المئات مطالبين بتطبيق مزيد من العقوبات على روسيا و بطردها من مجلس الأمن، وطالب بعض المتظاهرين بتطبيق سياسات عنصرية مثل منع المواطنين الروس من دخول استراليا وآخرون طالبوا بتدخل الناتو في هذه الحرب.

▪ وفي روما، نظم الحزب الديمقراطي، وهو حزب يساري وسطي، وقفة احتجاجية أمام السفارة الروسية عبرت عن دعم الشعب الاوكراني في كفاحه ضد العدوان الروسي حتى تتحرَّر أوكرانيا من الغزو الروسي.

▪ وفي طوكيو، فقد تجمع مئات من الروس والأوكرانيين واليابانيين مطالبين بوقف الحرب.

▪ وشارك مئات الأوكرانيين المقيمين في مدن لندن، وبوينس آيرس، وبرلين في تظاهرات رافعين علم بلادهم مطالبين بوقف الحرب.

▪ رغم اتساع رقعة الاحتجاجات، التي شملت ما يقرب من 62 مدينة في مختلف دول العالم، يظل عدد المشاركين محدودًا ومعظمهم من الأوكرانيين. وعلاوة على ذلك، طالبت الشعارات المرفوعة في معظم الاحتجاجات بوقف الحرب فقط، باستثناء مظاهرات أثينا التي رفعت شعارات أكثر راديكالية تعبر بحق عن السبب وراء هذه الحرب.

▫ حوار مع اشتراكي روسي يعارض حرب بوتين

▪ في هذا الحوار، يتحدث أليكسي، وهو اشتراكي روسي ينتمي للتيار الاشتراكي الأممي، مع موقع "Black Banner - العلم الأسود" الأوكراني، في ما يعد مثالًا ساطعًا على التحريض الشجاع ضد الحرب.

▫ إلى أيِّ حركةٍ تنتمي أنت ورفاقك؟

▪ أنا عضوٌ في مجموعة "التيار الاشتراكي"، ومجموعتنا هي جزءٌ من التيار الاشتراكي الأممي، وهو تيارٌ يجمع الاشتراكيين الثوريين في العالم.

▫ كيف ترون هذه الحرب من حيث الأسباب والعواقب؟

▪ نرى هذه الحرب باعتبارها صراعًا إمبرياليًا بين روسيا والغرب، أصبحت فيه أوكرانيا للأسف ورقة مساومة بين الطرفين. نأسف بشدة على الشعب الذي يُجبَر على خوض هذه التجربة المريرة. يختلف المزاج السائد في المجتمع الروسي كثيرًا عمَّا كان سائدًا في العام 2014، حيث انخفض الجنون الوطني بشكلٍ كبير. لا يريد الناس الحرب، غير أنه من الجدير بالاعتراف أن هناك أيضًا عددًا غير قليلٍ من الشوفينيين الذين يجرفهم الحنين إلى الإمبراطورية العظمى.

▫ ما الذي دفعكم للمشاركة في التحركات ضد الحرب على أوكرانيا؟

▪ ما دفعنا لذلك هو رفض العدوان العسكري الذين تشنه دولتنا على أوكرانيا. نحن نقف في صف هزيمة حكومتنا في هذه الحرب الإمبريالية. نريد أن نبني حركةً قاعديةً عريضة ضد الحرب، ونضيف البُعد الطبقي لهذه الحركة. يمكننا حقًا أن نصبح مؤثِّرين فقط من خلال جذب الجماهير.

▫ من غيركم يشارك في هذه التحركات؟

▪ في موسكو ونيجني نوفجورود وسان بطرسبورج، شاركت قوى مختلفة في التحركات. للأسف، يهيمن الليبراليون عليها، لكن اليسار حاضرٌ أيضًا بشكلٍ كبير. هناك المزيد من الليبراليين بين المنظِّمين وبين المحتجين الآخرين. وهناك أيضًا الماركسيين والأناركيين، لكنّهم يظلون في الهوامش.

▪ وبالنسبة للمشاركين العاديين، فهؤلاء الليبراليون إنما هم "ليبراليون عفويون" لا يحبون بوتين ليس لأنه "إمبريالية للغاية"، بل لأنه "ليس إمبرياليًا بما يكفي". إنهم ينظرون إلى مواطني الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة ويشتكون من أنهم يعيشون حياةً أفضل، كما لو أن الناس يعيشون أفضل ببساطة بسبب نوعٍ من النظام الديمقراطي، وليس من الإمبريالية المتقدمة لبلدانهم.

▫ ما الذي تفعلونه لهزيمة الليبراليين؟

▪ للاستحواذ على زمام المبادرة من الليبراليين، فإن الماركسيين والأناركيين إلى تدشين تحركات مناهضة للحرب بأجندتهم الخاصة، وإلى العمل بين الناس، وفي النقابات والتجمعات العمالية.

▪ لقد ترجمنا مقالة بعنوان "حول التناقضات"، للمنظمة اليسارية الأوكرانية "Chernoye Znamya - العلم الأسود"، فموقفهم قريبٌ منا، وهم يطبقون تحليلًا قويًا للوضع الراهن.

▪ لدينا رفاقٌ في كييف ولفوف، ولابد أن نبني جبهةً أممية مناهضة للحرب.

▪ الكثير من الروس يبغضون الحرب، وحان الوقت لأن نقول "لا حرب بين الشعوب، لا سلام بين الطبقات". وندعو اليساريين كافة للمشاركة معنا في التحركات المناهضة للحرب.

▫ ما هو المزاج السائد بين المحتجين أنفسهم في ما يتعلق بالاعتقالات؟

▪ هناك مزاجٌ نضالي حقًا. تشد آلة بوتين القمعية الخناق، لكن الناس لا يزالون يخرجون. لابد أن تُعرَض فيديوهات المسيرات على الأوكرانيين حتى يدركوا أن عدوهم ليس الشعب الروسي، بل الكرملين.

بيان التيار الاشتراكي الأممي بشأن الحرب في أوكرانيا

▪ كان الغزو الروسي لأوكرانيا في 24 شباط/ فبراير عملاً من أعمال العدوان الإمبريالي، وانتهاكاً لحق الشعب الأوكراني في تقرير مصيره.

▫ بالنسبة للأوكرانيين ، هذه حرب دفاع عن النفس.

▪ في الوقت نفسه من جانب القوى الإمبريالية الغربية بقيادة الولايات المتحدة فهي تنظّم من خلال الناتو حرب بالوكالة ضد روسيا.

▪ الحرب هي غزو إمبريالي لمستعمرة سابقة، وجزء من صراع إمبريالي بين الولايات المتحدة وروسيا مع حلفائهما.

▫ نحن ضد كلتا القوتين الإمبرياليتين.

▪ نعرب عن تضامننا مع الشعب الأوكراني ، وندعم حقه في مقاومة الغزو. كما ونعارض أيضًا حلف الناتو وتوسعه نحو الشرق.

▪ تم تأكيد الطابع الإمبريالي لهذا الصراع من خلال سياسة حكومة كييف ، والتي تقضي بجر الغرب إلى حرب ومواجهة. هذا هو ، في الواقع ، معنى مطالبته المتكررة باستمرار لحلف الناتو بفرض منطقة حظر طيران فوق أوكرانيا. وهذا من شأنه أن يدفع بحلف شمال الأطلسي وقوات روسيا إلى المواجهة المباشرة.

▪ يمكن أن تتصاعد مثل هذه الحرب إلى قصف نووي متبادل بين الجانبين - ليس فقط لأن الرئيس الروسي ، فلاديمير بوتين ، هدد مباشرة بالانتقام النووي ، ولكن بسبب التفوق التقليدي لروسيا في المخزون النووي. إذ تعتبر الولايات المتحدة وروسيا إلى حد بعيد أكبر قوتين نوويتين عسكريتين في العالم. ستدمر الحرب بينهما معظم البشرية وتترك الناجين يعيشون حياة بائسة وفقيرة.

▪ تقع المسؤولية عن هذا الاحتمال المرعب على عاتق الخصمين الإمبرياليين - الولايات المتحدة وحلفائها لدفع الناتو والاتحاد الأوروبي شرقاً نحو حدود روسيا لتوسيع وترسيخ هيمنتهم على غرب أوراسيا، وروسيا وحلفائها لسعيهم لوقف هذه العملية من خلال الحرب والغزو والاحتلال.

▪ إن دوامة التصعيد يغذيها كلا الخصوم الإمبرياليين. كل هذا يحدث على حساب شعب أوكرانيا. العمال في البلدان المتضررة ليس لديهم ما يعولوا عليه خيرا من كلا الإمبرياليتين الغربية أو الروسية.

وعليه فإننا نطالب بما يلي:

▪ وقف فوري لإطلاق النار وانسحاب القوات الروسية من أوكرانيا!
▪ انسحاب قوات الناتو من وسط وشرق أوروبا!

▪ ايقاف ارسال شحنات أسلحة لأوكرانيا

▪ لا عقوبات ضد روسيا!

▪ لا تصعيد لا من روسيا ولا من الناتو!

▪ أوقفوا سباق التسلح

▪ أنفقوا التريليونات لمحاربة الجوع وأزمة المناخ والفقر وعدم المساواة وليس للحرب والتسلح!

▪ إلغاء الدين الخارجي لأوكرانيا البالغ 113 مليار دولار ، وإرسال مساعدات إنسانية سريعة لشعب أوكرانيا!

▪ مخاطر التصعيد العسكري الروسي واضحة. لكن على الرغم من أن الناتو قرر تجنب التورط المباشر في الحرب ، إلا أنه يصعد الصراع بشكل خطير. فإمداد أوكرانيا بالسلاح يدعو إلى تصعيد من الروس. والعقوبات الاقتصادية المفروضة على المؤسسات والمصالح الروسية إنما هي حرب بوسائل أخرى. إذ تصيب العقوبات دائما السكان المدنيين. إنها تتناسب مع الدعاية القومية لبوتين وتساعده على حشد الدعم الشعبي. عندما استخدمت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي هيمنتهما على النظام المالي العالمي لقطع البنك المركزي الروسي عن احتياطياته من العملات الأجنبية ، رد بوتين بوضع القوات النووية الروسية في حالة تأهب. يمكن أن يؤدي الاعتماد على الضغط الاقتصادي الذي يزعم جعل روسيا تركع سلميا على ركبتيها بدلاً من ذلك إلى الكارثة النهائية للبشرية.

إن العقوبات والحظر، ليست سوى المرحلة الأولية لمزيد من التصعيد، والذي غالبًا ما ينتهي باستخدام الوسائل العسكرية. هذا ما حدث في العراق منذ عام 1990 ، في يوغوسلافيا / صربيا في عام 1992 ، والصومال في عام 1992 ، وهايتي في عام 1992 ، وأفغانستان في عام 1999 ، وجورجيا في عام 2006 ، وليبيا في عام 1992 إلى 2011 ، واليمن في عام 2014.

▫ **في الآونة الأخيرة حصل هذا تقريبًا في كل عملية عسكرية قامت بها الولايات المتحدة ، هذا النمط واضح: العقوبات تسبق القصف.**

▪ نعارض أيضًا التعزيز العسكري لحلف الناتو - على سبيل المثال ، قرار الحكومة الألمانية بإنفاق 100 مليار يورو إضافية على "الدفاع" ، ومضاعفة بولندا حجم جيشها وزيادة الإنفاق العسكري إلى ثلاثة بالمائة من الناتج المحلي الإجمالي ، والضغط العام من قبل الاتحاد الأوروبي للعسكرة.

▪ نحن نرفض هدف الناتو المتمثل في زيادة الإنفاق على الأسلحة إلى 2٪ من الناتج المحلي الإجمالي في وقت الحرب ، في حين يسود الفقر العالمي ، وأزمة المناخ ، والأجور المنخفضة والبنية التحتية المتداعية في المدارس والمستشفيات ، والمساكن الفقيرة والندرة.

▫ **سيدفع العمال وعائلاتهم ثمن سياسة العسكرة والحرب هذه.**

▪ يجدر التأكيد على أن هذه حرب تشمل في المقام الأول أوروبا والولايات المتحدة وكندا. منحت الصين روسيا دعمًا مشروطًا ، لكن العديد من الدول الأخرى في جنوب الكرة الأرضية ترفض الانحياز إلى أي جانب ، بما في ذلك دول الخليج والهند وإندونيسيا والمكسيك وجنوب إفريقيا. وهذا يؤكد سفالة روسيا والغرب في تهديد البشرية بالفناء بسبب صراع اقليمي.

▪ ستكلف هذه الحرب ثمنًا اقتصاديًا باهظًا ، وليس فقط لسكان أوكرانيا وروسيا. إذ أدت القفزات في أسعار الطاقة والغذاء التي تسببت فيها هذه الحرب إلى ارتفاع التضخم ، الذي كان بالفعل عند أعلى مستوى له منذ 30 عامًا. حيث أن تصميم البنوك المركزية على الاستمرار في سياستها المتمثلة في رفع أسعار الفائدة وخفض التسهيل الكمي هو محاولة لإجبار العاملين على دفع ثمن أزمة لم تكن من صنعهم على الإطلاق. وفي الوقت نفسه ، تعتبر روسيا وأوكرانيا منتجين رئيسيين للمواد الغذائية. ستؤدي حربهم إلى مزيد من الجوع في النصف الجنوبي من الكوكب.

▪ تسببت الحرب في نزوح أعداد كبيرة من اللاجئين داخل أوكرانيا وخارج حدودها أيضا. وافقت أعداد كبيرة من الناس العاديين في العديد من البلدان على استقبال هؤلاء اللاجئين في منازلهم. لكن يتناقض الموقف الترحيبي النسبي لبعض الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي بسبب سياسة بناء "القلعة الأوربية" لإبعاد المهاجرين واللاجئين.

▪ نقول: الأوكرانيون مرحب بهم في بلادنا ، لكن افتحوا الحدود أمام كل اللاجئين والمهاجرين! كما أننا نعارض تنامي العنصرية ضد روسيا ، والتي غالبًا ما يتم تشجيعها على نحو منافق من قبل السياسيين الذين كان يسعدهم الترحيب بالأثرياء الروس في الماضي القريب جدًا ، والعنصرية ضد السود في أوكرانيا والدول المجاورة مثل بولندا ، حيث حُرم الأفارقة من اللجوء.

▪ تضاءلت الحركة العالمية المناهضة للحرب التي نشأت ضد غزو العراق في السنوات الخمس عشرة الماضية. لكننا سنحتاج الآن إلى إحياء نفس الزخم على أساس الاعتراف السياسي الواضح بأن التهديد الرئيسي للسلام العالمي يأتي من التنافس بين القوى العسكرية الكبرى. أصبحت الحملة من أجل نزع السلاح النووي ولو من جانب واحد مهمة مرة أخرى ، كما كانت خلال الحرب الباردة. يجب ألا يتم توسيع الناتو ، بل يجب حله.

▪ للحركة المناهضة للحرب في روسيا أهمية خاصة. نحيي شجاعة المتظاهرين ونأمل أن تؤدي تجربة هذه الحرب الكارثية إلى تضخم أعدادهم. إنهم يستحقون التضامن العالمي فعلاً.

▫ **هذه الحرب كارثة من منظور بيئي أيضًا**

▪ الآلات العسكرية المتنافسة هي بواعث ضخمة لثاني أكسيد الكربون. بينما يشجع انقطاع إمدادات الطاقة إلى المزيد من إنتاج النفط وربما الاعتماد بشكل أكبر على الطاقة النووية. وحتى الاستخدام المحدود للأسلحة النووية سيكون له تأثيرات ملوثة متعددة. علاوة على ذلك ، فإن الحرب هي تحويل عن المهمة العاجلة للبشرية المتمثلة في نزع الكربون عن الاقتصاد العالمي. في 27 فبراير ، في نفس اليوم الذي أعلن فيه بوتين عن وضع القوات النووية الروسية في حالة تأهب ، حذر أحدث تقرير صادر عن اللجنة الدولية المعنية بتغير المناخ من التأثير المدمر لتغير المناخ على المجتمعات البشرية ، والضرر الأكبر الذي قد يتسبب فيه.

▫ **في المستقبل. يجب على الاشتراكيين أن يسعوا للجمع بين الحركة المناهضة للحرب وحركة المناخ.**

▪ تعطي هذه الحرب إشعارًا آخرا بأن النظام الرأسمالي العالمي قد انتهت صلاحيته. كل ما تعدُ به البشرية على نحو متزايد هو الحرب ، وتدمير البيئة ، والأمراض ، والفقر.

▪ يتولى الاشتراكيون مهمة بناء الحركات غير البرلمانية والعمل في أماكن العمل ضد هذا النظام - سواء كانت الحركة المناهضة للحرب ، أو حركة المناخ ، أو النضال ضد الفاشيين أو نضالات الأجور في أماكن العمل - وبالتالي تعزيز وبناء قدرات الشبكات والمنظمات.

▪ نجدد التزامنا بالمساعدة في تحقيق الثورة الاشتراكية العالمية التي يمكن أن تخلّص الكوكب أخيرًا من لعنة الرأسمالية. يجب أن يكون شعار كارل ليبكنخت "العدو الرئيسي هو ذلك الذي في بلدنا" هو شعارنا.

التيار الاشتراكي الأممي 15 مارس 2022



www.revsoc.me

تابعونا على:


RevSoc.me


@revsoc


@RevSocMe


rev.soc

RevSocMe


Contact@revsoc.me